المتكلمات

حدّث عمر بن يزيد الأسدى قال : مررت بخرقاء صاحبة ذى الرمة فقلت لها هل حججت قط ، قالت : أما علمت اني مذ لك من مناسك الحج ما منعك أن تسلم علي أما سمعت قول عمك ذي الرمة

تمامُ الحجِّ أنْ تقِفَ المَطايا ... على خَرْقاءَ واضعةَ اللِّثامِ

فقلت لها : لقد أثر فيك الدهر، قالت : أما سمعت قول العجيف العقيلى حيث يقول

وخَرْقاءُ لا تَزْدادُ إلاَّ مَلاحَةً ... ولوْ عُمِّرَتْ تَعميرَ نوحٍ وجَلَّتِ

قال ورأيتها وان فيها لمباشرة وان ديباجة وجهها لطرية كأنها فتاة وانها لتزيد يومئذ على المائة ولقد حُدّثت انه شبب بها ذو الرمة وهي ابنة ثمانين سنة ،، وحدّث رجل من بنى أسد قال : أدركت ميًّا صاحبة ذى الرمة وكان الرجل أعور قال ورأيتها فى نسوة من قومها فقلت أهذه ميّ وأومأت اليها فقلن نعم فقلت ما أدري ما كان يعجب ذا الرمة منك وما أراك على ما كان يصف ، فتنفست الصعداء وقالت انه كان ينظر إليّ بعينين وأنت تنظر إليّ بعين واحدة ،، وروى الأصمعي عن رجل من أهل الشام قال : قدمت المدينة فقصدت منزل ابن هرمة فاذا بنية له تلعب فقلت لها ما فعل أبوك ، قالت وفد الى بعض الاخوان ، قلت فانحري لنا ناقة فانا أضيافك ، قالت يا عماه والذى خلقك ما عندنا شئ ، قلت فباطل ما قال أبوك ، قالت فما قال ، قلت قال

كمْ ناقةٍ قدْ وجَأْتُ مَنْحَرَها ... لِمُستَهِلِّ الشُّؤبوبِ أو جَمَلِ

قالت يا عماه فذلك القول من أبي أصارنا الى أن ليس عندنا شئ ،، قال وأتى زياد الأقطع باب الفرزدق وكان له صديقاً فخرجت اليه ابنة الفرزدق وكانت تسمى مكيّة وأمها حبشية فقال لها ما اسمك قالت مكية قال ابنة من قالت ابنة الفرزدق قال فأمك قالت حبشية فأمسك عنها فقالت ما بال يدك مقطوعة قال قطعها الحرورية قالت بل

قطعت فى الاصوصية قال عليك وعلى أبيك لعنة الله ، وجاء الفرزدق فأخبر بالخبر فقال اشهد انها ابنتى ،، وأنشأ يقول

حام إذا ما كنت ذا حميّه بدارمي بنتُه صبيّه
صمحمح مثل أبي مكيّه

وحدث سليمان بن عباس السعدى قال : كان كثيّر يلقى حاجّ أهل المدينة بقديد على ست مراحل ففعل عاما من الأعوام غير يومهم الذي نزلوا فيه فوقف حتى ارتفع النهار فركب جملا في يوم صائف ووافى قديداً وقد كلّ بعيره وتعب فوجدهم قد ارتحلوا وقد بقى فتى من قريش فقال الفتى لكثيّر اجلس قال فجلس كثيّر الي جنبي ولم يسلم على فجاءت امرأة وسيمة جميلة فجلست الى خيمة من خيام قديد واستقبلت كثيّراً فقالت أنت كثير ، قال نعم ، قالت انت ابن أبي جمعة ، قال نعم ، قالت أنت الذى تقول

وكنتُ إذا ما جئتُ أجلالَ مجلسي وأضمرْنَ منى هيبةً لا تجهّما

قال نعم ، قالت فعلى هذا الوجه هيبة ان كنت كاذباً فعليك لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، قال فضجر كثيّر وقال ومن أنت فسكتت ولم تجبه بشئ فسأل الموالى التى في الخيام عنها فلم يخبرنه فضجر واختلط عقله فلما سكن قالت أنت الذى تقول

متى تَنشُرا عني العِمامةَ تُبْصِرا جميلَ المُحيّا أغفلتْهُ الدّواهنُ

أهذا الوجه جليل ان كان كاذبا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين فاختلط وقال لو عرفتك لفعلت وفعلت فلما سكن قالت له أنت الذى تقول

يَروقُ العيونَ الناظراتِ كأنّهُ هِرَقْليٌّ وَزْنٍ أحمرُ التِّبْرِ راجحُ

اهذا الوجه الذي يروق الناظرات ان كنت كاذبا فعليك لعنة الله والملائكة والناس أجمعين قال فازداد ضجراً واختلط وقال لو عرفتك والله لقطعتك وقومك هجاء ثم قام فاتبعته طرفي حتى توارى عني ثم نظرت الى المرأة فاذا هي قد غابت عنى فقلت لمولاة من بنات قديد لك الله علىّ ان أخبرتيني من هذه المرأة أن أطوى لك ثوبيّ هذين اذا

قضيت حجي ثم اعطيكهما فقالت والله لو اعطيتني زنتهما ذهباً ما أخبرتك من هي هذا كثيّر مولاي لم أخبره ، قال القرشي فرحت وبي أشد مما بكثيّر ،، قيل وقدم كثيّر الكوفة وكان شيعياً من أصحاب محمد بن الحنفية فقال دلّوني على منزل قطام ، قيل له : وما تريد منها ، قال : أريد أن أوبّخها في قتل عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه ، فقيل له : عد عن رأيك فان عقلها ليس كعقول النساء ، قال : لا والله لا انتهي حتى أنظر اليها وأكلمها فخرج يسأل عن منزلها حتى دُفع اليها فاستأذن فأذنت له فرأى امرأة بَرْزة قد تخدّدت وقد حنا الدهر من قناتها فقالت : من الرجل ، قال : كثيّر بن عبد الرحمن ، قالت : التيمي الخزاعي ، قال : التيمي الخزاعي ، ثم قال لها : أنت قطام قالت : نعم ، قال : أنت صاحبة عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه ، قالت : بل صاحبة عبد الرحمن بن ملجم ، قال : أليس هو قتل عليّاً ، قالت : بل مات بأجله ، قال: والله اني كنت أحب أن أراك فلما رأيتك نبتْ عيني عنك وما ومقك قلبي ولا احلولیت في صدري ، قالت : أنت والله قصير القامة صغير الهامة ضعيف الدعامة كما قيل : لأن تسمع بالمُعيْدِي خير من أن تراه ،، فأنشأ كثيّر يقول

رأتْ رَجُلاً أوْدى السفارُ بجسمهِ ... فلمْ يبقَ إلاّ منطقٌ وجنانُ

قالت : لله درك ما عرفتَ إلا بعزة تقصيراً بك ، قال : والله لقد سار لها شعري وطار بها ذكري وقرب من الخلفاء مجلسي وانها لكما قالت فيها

وإنْ خفيتْ كانتْ لعينيكَ قرّةً ... وإنْ تبْدُ يوْماً لمْ يعمّكَ عارُها

منَ الخفراتِ البيضِ لمْ ترَ شقوةً ... وفي الحسَبِ المحْضِ الرّفيعِ نجارُها

فما رَوْضةٌ بالحزْنِ طيّبةُ الثّرى ... يمُجُّ النّدى جثْجاثُها وعرَارُها

بأطيبَ منْ فيها إذا جئتَ طارِقاً ... وقدْ أوقدتْ بالمنْدَلِ الرّطْبِ نارُها

قالت : والله ما سمعت شعراً أضعف من شعرك هذا والله لو فعل هذا بزنجية طاب ريحها ألا قلت كما قال امرؤ القيس

أَلَمْ تَرَ أَنِّي كُلَّما جِئْتُ طارِقاً ... وَجَدْتُ بِها طِيباً وَإِنْ لَمْ تَطَيَّبِ

قال : فلله درّ بلادك وخرج وهو يقول

أَلحقُّ أَبْلَجُ لا تَزِيغُ سبيلهُ ... والحقُّ يَعْرِفُهُ ذَوُو الأَلبابِ

قال ،، وقال المسيب راوية كثيّر : انطلق كثير مرة فقال لي : هل لك في عكرمة ابن عبد الرحمن بن هشام وهو يومئذ على حنظلة بن عمرو بن تميم ، فقلت: نعم ، قال فخرجنا نريده حتى اذا صدرنا عن المدينة اذا نحن بامرأة على راحلة تسير فسرت حذاءها فقالت : أتروي لكثير شيئاً • قلت : نعم • قالت أنشدنى • فأنشدتها من شعره فقالت أين هو • قلت هو ذاك الذى ترين على غير الطريق . فقالت بعد أن دنت منه قاتل الله زوج عزة حيث يقول

لَعَمرُكَ ما رَبُّ الرَّبابِ كُثَيِّرٌ ... بِفَحلٍ ولا آباؤُهُ بِفحولِ

فغضب كثير وسار وتركها ثم نزل منزلا فجاءت جارية لها تدعوه فأبى كثير أن يأتيها فقلت ما رأيت مثلك قط امرأة مثل هذه ترسل اليك فتأبي عليها فلم أزل به حتى أتاها قال فسفرت عن وجهها فاذا هي أجمل الناس وأكملهم ظرفا وعقلا واذا هي غاضرة أم ولد بشر بن مروان فصحبناها حتى كنا بزبالة فقالت بنا الطريق فقالت له هل لك أن تأتي الكوفة فأضمن لك على بشر الصلة والجائزة فأبي وأمرت له بخمسة آلاف درهم ولى بألفين فلما أخذنا الخمسة آلاف قال ما أصنع بعكرمة وقد أصبت ما ترى فذلك قوله حيث يقول

شَجا أَظعانُ غاضِرَةَ الغَوادي ... بِغيرِ مشورَةٍ عِوَضاً فُؤادِي

أَغاضِرَ لو رأَيتِ غَداةَ بِنتمْ ... حُنُوَّ العائداتِ على وِسادي

رَثَيتِ لعاشقٍ لمْ تشكُميه ... جَوانِحَهُ تَلَذَّعُ بالزِّنادِ

ـ الشكيمة ـ العطية و ـ الزناد ـ جمع زند وهو عود يقدح منه النار .. قال الحكم ابن صخر الثقفي حججت فرأيت بأقرة امرأتين لم أر كجمالهما وظرفهما وثيابهما فلما

حججت وصرنا بأقرة اذا أنا باحدى الجاريتين قد جاءت فسألتُ سؤال منكر فقلت : فلانة ، قالت : فداك أبي وأمي رأيتك عاماً أوّل شابّاً سوقة والعام شيخاً مَلِكا وفي وقت دون ذلك ما تنكر المرأة صاحبها ، فقلت : ما فعلت أختك ، فتنفست الصعداء وقالت : قدم علينا ابن عم لنا فتزوّجها نخرج بها الي نجد فذاك حيث أقول

إذا ما قفلنا نحوَ نَجْدٍ وأهلِهِ فحَسْبي مِنَ الدُّنيا القفُولُ إلى نجْدِ

فقلت : أما انى لو أدركتها لتزوجتها ، قالت : فداك أبي وأمي فما يمنعك من شريكتها في حسنها وشقيقتها في حسبها ، قلت قول كثير

إذا وَصَلَتْنا خُلَّةٌ كي تُزِيلَنا أَبَينا وقلنا الحاجبيةُ أوّلُ

قالت : وكثير بيني وبينك أليس هو الذى يقول

هَلْ وَصْلُ عَزَّةَ إلاّ وَصْلُ غانيةٍ في وصلِ غانيةٍ مِنْ وَصلِها خَلَفُ

قال فتركت جوابها ولم يمنعني منه إلّا العي

محاسن النساء

قيل ،، أحسن النساء الرقيقة البشرة النقية اللون يضرب لونها بالغداة الى الحمرة وبالعشي الى الصفرة ،، وقالت العرب المرأة الحسناء أرق ما تكون محاسن صبيحة عرسها وأيام نفاسها وفي البطن الثاني من حملها ،، وقيل لاعرابي أتحسن صفة النساء ،قال نعم اذا عذب ثناياها وسهل خدّاها ونهد ثدياها وفَعُم ساعداها والتفّ فخذاها وعرض وركاها وجدل ساقاها فتلك همّ النفس ومناها ،، ووصف اعرابي امرأة فقال كأن وجهها السقم لمن رآها والبرء لمن ناجاها ،، وذكر اعرابي امرأة فقال أرسل الحسن الى خديها

صفائح نور ورشق السحر عن لحظها بأسهم حداد ولقد تأملت فوجدت للبدر نوراً من بعض نورها،، وذكر اعرابي امرأة فقال هي شمس تباهي بها شمس سمائها وليس لي شفيع اليها غيرها في اقتضائها ولكني كتوم لفيض النفس عند امتلائها ،، وذكر اعرابي امرأة فقال ما أحسن من حبها نعاساً ولا أنظر اليها إلّا اختلاساً وكل امرئ منها يرى ما أحب ،، وذكر اعرابي امرأة فقال لها جلد من لؤلؤ رطب مع رائحة المسك الأزفر في كل عضو منها شمس طالعة ،، ومما جاء في الحسن من الشعر ٠٠ قال عبد الله بن المعتز أنشدني أبو سهل اسماعيل بن عليّ لأبي الصواعق

ومريض طرفٍ ليس يصرف طرفهُ ... نحوَ المدى إلاّ رماهُ بحتفهِ
ظبيٌ لهُ نظرٌ ضعيفٌ كلّما ... قصدَ القوىّ أتى عليهِ بضعفهِ
قد قلتُ لمّا مرّ يخطرُ مائساً ... والرّدفُ يجذبُ خصرهُ من خلفهِ
يا من يُسلّمُ خصرهُ من ردفه ... سلّمْ فؤادَ محبّه من طرفه

فقلت في هذا المعنى وعلى هذا الوزن

وحياةِ من جرحَ الفؤادَ بطرفه ... لأُحبّرنّ قصائدي في وصفه
قمرٌ به قمرُ السّماءِ متيّمٌ ... كالغصنِ يعجبُ نصفهُ من نصفه
إني عجبتُ لخصرهِ من ضعفه ... ماذا تحمّلَ من ثقالةِ ردفه
هذا وما أدري بأيّةِ فتنةٍ ... جرحَ الفؤادَ بطرفهِ أم ظرفه
أم بالدّلالِ أم الجمالِ أم الضّيا ... من وجههِ أم بالمنى من خلفه

وأنشد ابو الحسين بن فهم لأبي نواس

كفاكَ ما مرّ على راسي ... من شادنٍ قطّعَ أنفاسي
أكثرُ ما أبلغُ في وصفه ... تحيّري من قلبه القاسي

أَغارُ أَنْ أَنعتَ منهُ الذِي ... يَنعتُهُ النّاسُ منَ النّاسِ
ولم أَرَ العُشّاقَ قبلي رأَوا ... بوَصفِ مَنْ يَهْوَونَ منْ باسِ
كلُّ أَحادِيثِي نَعْتٌ لهُ ... مُنكشِفٌ مني لجُلاّسي

فقلت في هذا المعنى وهذا الروي والوزن

لوْ عُشْرُ ما مرَّ على راسى ... مرَّ بصَلْدٍ حجَرٍ قاسى
لانصدَعَتْ فيهِ صُدُوعٌ كما ... صدَّعَ قلبي طولُ وَسْواسى
يا غُصْنَ آسٍ ومُحالٌ إذا ... قصَّرْتُ تشبيهَكَ بالآسِ
ما ذا على طَرْفِكَ لوْ أَنّهُ ... أَعارَ لَحظاً منهُ قِرْطاسى
ليْتَكَ عَلَّلْتَ بمَطْلٍ ولمْ ... تَقْطَعْ رَجائي منكَ باليأسِ

وقال آخر

وزائرَةٍ يَحْتَثُّها الشَّوْقُ طارِقه ... أَتَتْنا منَ الفِرْدَوْسِ لاشكَّ آبِقه
إذا ماتَثَنَّتْ قالَ للرِّيحِ قدُّها ... كذا حرِّكي الأَغصانَ إنْ كنتِ صادِقه

وقال آخر

قدْ أَقبلَ البَدْرُ فى قراطِقِهِ ... يَسْلُبُ بالدَّلِّ قلبَ عاشقِهِ
يَسْطُو عليهِ بسيفِ مُقْلَتِهِ ... لا بالذِى شُدَّ فى مناطقِهِ

وقال آخر

قلْ للمِلاَحِ الحَدَقِ ... وللمِحسّانِ الخُلُقِ
هلْ فى فؤَادى للقُوَى ... أَو جَسَدِى شىءٌ بَقِى
إن لم تَرُوّا عطشِي ... بخَلاً فبلُّوا رَمَقِي

يا مُقْلَةً أَجفانُهـــا ... مَحْشُـــوَّةٌ بالأَرَقِ
بَقِيتِ في رِقِّ الهَوَى ... شَقِيَّةً فيمَنْ شَقِي

وقال آخر

يا مِلاَحَ الدَّلالِ والإِغتِناجِ ... ما أَرَى القلبَ مِنْ هواكُنَّ ناجي
أَنتَ زَرْفَنْتَ فوقَ خَدَّيكَ صَدْغاً ... مِنْ عَبيرٍ على صَفائحِ عاجِ
أَشرَقَتْ وَجْنَتاكَ بالنُّورِ حتّى ... أَغْنَتا الخَلْقَ عنْ ضِياءِ السِّراجِ
فعلَتْ مُقلَتاكَ بالقلبِ مِنّي ... فَعْلَةَ القَرْمَطِيِّ بالحُجّاجِ
يا هِلالاً أَنِسْتُ منهُ بضوْءٍ ... جُنْحَ ليلٍ من الظَّلامِ الدَّاجي

وقال آخر

نشرتْ غدائرَ فرْعِها لتُظِلَّني ... حَذَرَ العُيونِ منَ العُيونِ الرُّمَّقِ
فكأَنَّها وكأَنَّهُ وكأَنَّني ... صُبْحانِ باتا تحتَ ليلٍ مُطْبِقِ

وقال آخر

يا غَزالاً وهِلالاً ... وقَضيباً وكَثيبا
كمْ وكمْ أُضمِرُ وجداً ... بكَ مكتوماً عجيبا
كيفَ يُرْجى بُرْءُ مَنْ قد ... كَتَمَ الدّاءَ الطَّبيبا

وقال آخر

شَمْسٌ مُمَثَّلَةٌ في خَلْقِ جارِيَةٍ ... كأَنَّما بَطْنُها طَيُّ الطَّوامِيرِ
فالجِسْمُ مِنْ جوهرٍ والشَّعرُ مِنْ سَبَجٍ ... والثَّغْرُ مِنْ لُؤْلُؤٍ والوَجْهُ مِنْ عاجِ

وقال آخر

تَبيحُ دَلالٍ حارَ في حُسْنِهِ الطَّرْفُ ... فَفِكْرَتُهُ قَبْرٌ ومَنْطِقُهُ لَطْفُ

بديعُ جمالٍ زانهُ العقلُ والظَّرْفُ ... سماويُّ لونٍ لا يُحيطُ بهِ وَصفُ
لهُ ريقةٌ عُلَّتْ بماءِ قرنفُلٍ ... يُمازجُها التُّفَّاحُ والخمرةُ الصِّرْفُ
تجسَّمَ في جسمٍ منَ النُّورِ ساطعٍ ... تمكَّنَ في دِعصٍ ينوءُ بهِ رِدْفُ
على صحنِ خدَّيهِ بهارٌ منوَّرٌ ... ووَرْدٌ جنيٌّ لا يليقُ بهِ القطفُ
تكاملَ فيهِ الحسنُ والنُّورُ والبها ... كبدرِ الدُّجى إذْ تمَّ منْ شهرِهِ النِّصفُ
براهُ إلهي لي عذاباً وفتنةً ... فما عندَهُ عدلٌ ولا عندَهُ عطفُ

وقال آخر

لكَ منْ قلبيَ المكانُ المصونُ ... كلُّ لومٍ على فيكَ يهونُ
قدَّرَ اللهُ أنْ أكونَ شقياً ... بكَ والصبرُ عنكَ ما لا يكونُ
يا غزالاً بلحظهِ يفتنُ النا ... سَ وفي طرفهِ الرَّدى والمنونُ
لكَ صبرٌ وليسَ لي عنكَ صبرٌ ... فأنا اليومَ هائمٌ محزونُ
قدْ خلعتُ العذارَ فيكَ حبيبي ... ما أُبالي بما رمتني الظُّنونُ

وقال آخر

يا نظرةً جاءتْ على ياسِ ... منْ ساحرِ المُقلةِ ميَّاسِ
أطرافهُ تُعقَدُ منْ ليِّنها ... وقلبهُ كالحجرِ القاسي
يلومُني النَّاسُ علي حبِّهِ ... أعانني اللهُ على النَّاسِ

وقال آخر

يا ويحَ جسمٍ يذوبُ منْ قلقه ... منْ حبِّ منْ لمْ أقفْ على خلقه
منْ حبِّ ظبيٍ مهفهفٍ لبقٍ ... يهتزُّ مثلَ القضيبِ في ورقه

لم ترَ عيني ولن ترى أبدًا ... أحسن من نحره ومن عنقه

كأنما المسكُ حين تسحقهُ ... بماء وردٍ يفوحُ من عرقه

أو خمرةٌ في الزجاجِ صافيةٌ ... شيبت بماء السحابِ في نسقه

وقال آخر

أربعةٌ قرّحت فؤادي ... فطال وجدي وعيل صبري

مقلةُ خشفٍ وقدُّ غصنٍ ... وطيبُ وردٍ وحسنُ بدرِ

نفسي ومالي فداهُ ظبيٍ ... أذاب جسمي وليس يدري

فمن لصبٍّ أسيرِ شوقٍ ... قتيلِ صدٍّ بسيفِ هجرِ

وقال آخر

وما ريحُ ريحانٍ بمسكٍ وعنبرٍ ... يُعَلُّ بكافورٍ ودُهنةِ بانِ

بأطيبَ من ريّا حبيبي لوانّني ... وجدتُ حبيبي خالياً بمكانِ

محاسن التزويج

روي ان رجلا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله اني أر
أن أتزوّج فادع الله أن يرزقني زوجة صالحة . فقال : لو دعا لك جبريل وميكائيل و
معهما ما تزوجت الا المرأة التي كتب الله لك فانه ينادي في السماء ألا ان امرأة فلا
ابن فلان فلانة بنت فلانة .. وقال صلى الله عليه وسلم عليكم بالأبكار فانهن أطي
أفواهاً وأنتق أرحاما .. وقال عمر رضي الله عنه عليكم بالأبكار واستعيذوا بالله
شرار النساء وكونوا من خيارهن على حذر .. قال الشاعر

لا تنكحنّ عجوزاً إنْ دُعيتَ لها ... وإنْ حُبيتَ على تزويجها الذّهبا

فإنْ أتوكَ وقالوا إنها نَصَفٌ ... فإنّ أطيبَ نِصفيها الذي ذهبا

وقال آخر

عليكَ إذا ما كنتَ لا بُدّ ناكحاً ... ذَواتُ الثّنايا الغُرّ والأعيُنِ النُّجْلِ

وكلُّ هَضيمِ الكَشْحِ خفّاقةِ الحشا ... قَطوفِ الخُطا بَلْهاءَ وافرةِ العقلِ

وقال الحارث بن كلدة : لا تنكحوا من النساء إلا الشابة ولا تأكلوا من الحيوان الا الفتيّ ولا من الفاكهة إلّا النضيج ،، وقال مغيرة بن شعبة : حصّنت تسعاً وتسعين امرأة ما أمسكت واحدة منهن على حب ولكني أحفظها لمنصبها وولدها فكنت استرضيهن بالباه شابا فلما ان شبتُ وضعفت عن الحركة استرضيتهن بالعطية ،، وقال بعضهم : لذّة المرأة على قدر شهوتها وغيرتها على قدر لذّتها ،، وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال : انما النساء لعب فاذا تزوّج أحدكم فليستحسن ،، وروى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه قال : تزوّجها سمراء ذلفاء عيناء فان فركتها فعلي صداقها ،، وقال الحجاج بن يوسف : من تزوّج قصيرة فلم يجدها على ما يريد فعلي صداقها ،، وروي عن عليّ صلوات الله عليه ان رجلا أتاه فقال : انى تزوّجت امرأة مجنونة ، فقالت المرأة : يا أمير المؤمنين انه يأخذني عند الجماع غشية ، فقال للرجل : قم ما أنت لها بأهل ،، وفي حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم : إيّاكم وخضراء الدّمَن وهي المرأة الحسناء في المنبت السوء ،، وقال بعضهم : لا تتزوّجن حنّانة ولا أنّانة ولا منّانة ولا عُشبَة الدار ولا كيّة القفا ـ فأما الحنّانة ـ فالتي قد تزوّجها رجل من قبل فهي تحنّ اليه ـ والأنّانة ـ التي تأنّ من غير علّة ـ والمنانة ـ التي لها مال تمتنّ به ـ وعُشبة الدار ـ الحسناء في أصل السوء ـ وكية القفا ـ التي اذا قام زوجها من المجلس قال الناس فعلت امرأة هذا كذا وفعلت كذا ،، وقال محمد بن على رضى الله عنهما اللهم ارزقني امرأة تسرني اذا نظرت وتطيعني اذا أمرت وتحفظني اذا غبت ،، وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه

قال : اذا خطب أحدكم امرأة فلا جناح عليه ان ينظر اليها وان كانت لا تعلم ،، وقال بعض الشعراء فى تزويج الشبه

إذا أردْتَ حُرَّةً تبغيها ... كريمةً فانظُرْ إلى أخيها
يُنبيكَ عنها وإلى أبيها ... فإنَّ أشباهَ أبيها فيها

وقال آخر

إذا كنتَ مُرْتاداً لنفسكَ أيّما ... لتَجْلِكَ فانظُرْ مَنْ أبوها وخالُها
فإنَّهما منها كما هيَ منهُما ... كما النَّعْلُ إنْ قيستْ بنَعْلٍ مِثالُها

وقال آخر

إذا كنتَ عنْ عينِ الصَّبيَّةِ باحثاً ... فأَبْصِرْ تَرَي عينَ الصَّبيِّ فذالكا

قال خالد بن صفوان لدلّال : أطلب لي امرأة بكراً أو ثيباً كبكر حصاناعندجارها ماجنة عند زوجها قد أدَّبها الغنى وذلّلها الفقر لا ضرعة صغيرة ولا عجوزاً كبيرة قد عاشت في نعمة وادركتها حاجة لها عقل وافر وخلق طاهر وجمال ظاهر صلتة الجبين سهلة العرنين سوداء المقلتين خدلّجة الساقين افّاء الفخذين نبيلة المقعد كريمة المجتد رخيمة المنطق لم يداخلها صلف ولم يشن وجهها كلف ريحها أرج ووجهها بهج لينة الأطراف ثقيلة الأرداف لونها كالورق وثديها كالحق أعلاها عسيب وأسفلها كثيب لها بطن مخطف وخصر مرهف وجيد أتلع ولب مشبع تثنى تثني الخيزران وتميل ميل السكران حسنة المآق فى حسن البُراق لا الطول أزرى بها ولا القصر ، قال الدلّال : استفتح ابواب الجنان فانك سوف تراها ،، وقال أيضاً : لا تتزوج واحدة فتحيض إذا حاضت وتنفس اذا نفست وتعود اذا عادت وتمرض إذا مرضت ولا تتزوج اثنتين فتقع فيما بين الجمرتين ولا تتزوج ثلاثا فتقع بين اثافى ولا تتزوج أربعا فيُحقرنك ويهرمنك ويفلسنك ، فقال له رجل : حرمت ما أحلّ الله ، فقال : طمران وكوزان ورغيفان وعبادة الرحمن ،، وعن صالح بن حسان قال : رأيت امرأة بالمدينة يقال لها حوّاء وهي

التي عاشت نساء المدينة النقع وهو النخر والحركة والفربلة والرهز وكانت لها سقيفة تحدث اليها رجالات قريش ولم يكن فى المدينة أهل بيت الا وتأخذ صبيانهم وتمصهم ثديها أو تدي احدى بناتها فكان أهل المدينة يسمونها حوّاء ولم يكن بالمدينة شريف ممن يجلس فى سقيفتها الا واوصل اليها في السنة ثلاثين وسقا وأكثر من طعام وتمر مع الدنانير والدراهم والخدم والكساء فجاءها ذات يوم مصعب بن الزبير وعمرو بن سعيد بن العاص وابن لعبد الرحمن بن أبي بكر فقالوا لها : يا خالة قد خطبنا نساءً من قريش ولسنا ننتفع إلّا بنظرك اليهن فارشدينا بفضل علمك فيهن . فقالت لمصعب : يا ابن أبي عبد الله ومن خطبت ، قال : عائشة بنت طلحة ، قالت : فأنت يا ابن الصديق قال : أم القاسم بنت زكرياء بن طلحة ، قالت : فأنت يا ابن أبي أحيحة ، قال : زينب بنت عمرو بن عثمان ، فقالت: يا جارية علىّ بمنقلى - تعني خفّيها - فأتتها بهما فخرجت ومعها خادم لها فأتت عائشة بنت طلحة فقالت : مرحباً بك يا خالة . فقالت : يا بنية إنا كنا فى مأدبة لقريش فلم تبق امرأة لها جمال إلا ذكرت وذكر جمالك فلم أدر كيف أصفك فتجرّدى لأنظرك فألقت درعها ثم مشت فارتج كل شيء منها ثم أقبلت على مثل ذلك فقالت : فداك أبي وأمي خذي ثوبيك وأتهن جميعاً على مثل ذلك ثم رجعت الى السقيفة فقالت : يا ابن أبي عبد الله ما رأيت مثل عائشة بنت طلحة قطّ ممتائة الترائب زجّاء العينين هدبة الاشفار مخطوطة المتنين ضخمة العجيزة لفّاء الفخذين مسرولة الساقين واضحة الثغر نقية الوجه فرعاء الشعر الا انني رأيت خلتين هما أعيب ما رأيت فيها اما احداهما فيواريها الخف وهي عظم القدم والأخرى يواريها الخمار وهي عظم الأذن وأما أنت يا ابن أحيحة فما رأيت مثل زينب بنت عمرو فراهة قط الا ان فى الوجه ردّة ولكني مشيرة عليك بأمر تستأنس اليه وهي ملاحة تعتز بها وأما أنت يا ابن الصديق فوالله ما رأيت مثل أم القاسم ما شبهتها إلا بخوط بانة تثنى أو خشف يتقلب على رمل ولم أرها إلا فوق الرجل واذا زادت على الرجل المرأة لم تحسن لا والله الا من يملأ المنكبين فتزوّجوهن .. وقال اعرابي فى أخت له تزوجت بغير كفوء

ولو ركبت ما حرم الله لم يكن ... بأقبح عند الله مما استحلت

قال ،، وكان بالمدينة رجل قد أعطي جودة الرأي ولم يكن فيها من يريد إبرام أمر إلا شاوره فأراد رجل من قريش ان يتزوج فأتاه فقال : انا اريد ان اضم إلي اهلا فأشر علي ، قال : افعل تحصن دينك ونصن مؤونتك وإياك والجمال البارع ، قال : ولم نهيتني وانما هو نهاية ما يطلب الناس ، قال : لأنه ما فاق الجمال إلا لحقه قول أما سمعت قول الشاعر

ولن تصادف مرعى مونقاً أبداً ... إلا وجدت به آثار ما أكول

قيل ،، وكانت جارية من بنات الملوك تكره التزويج فاجتمع عندها نسوة فتذاكرن التزويج وقلن لها ما يمنعك منه ، قالت وما فيه من الخير . قلن وهل لذة العيش إلا في التزويج . قالت فلتصف كل واحدة منكن ما عندها فيه من الخير حتى اسمع . فقالت احداهن زوجي عوني في الشدائد وهو عائدي دون كل عائد ان غضبت عطف وان مرضت لطف . قالت نعم الشيء هذا . قالت الأخرى زوجي لما عناني كاف ولما اسقمني شاف عرقه المسك المذاف وعناقه كالخلد ولا يمل طول العهد . قالت هذا خير منه . قالت الأخرى زوجي الشعار حين ابرد وأنيسي حين أفرد . فتزوجت فقلن لها : يا فلانة كيف رأيت . قالت : انعم النعيم وسروراً لا يوصف ولذة ليس منها خلف

أمثال في التزويج

قيل ان اول من قال * لا هنك انقيت ولا ماءك ابقيت * الضب بن أروى الكلاعي وذلك انه خرج من أرضه فلما سار اياما حار في تلك المفاوز التي تعسفها وتخلف عن أصحابه وبقي فرداً يعسف فيها ثلاثة ايام حتى دفع الى قوم لا يدري من هم فنزل عليهم وحدثهم وكان جميلا وان امرأة من افاضل اولائك هويته فأرسلت اليه ان اخطبني فخطبها وكانوا

لا يزوجون الا شاعرا أو رجلا يزجر الطير أو يعرف عيون الماء فسألوه فلم يحسن شيئاً من ذلك فلم يزوجوه فلما رأت المرأة ذلك زوجته نفسها على كره من قومها فلبث فيهم ما لبث ثم ان رجلا من العرب أغار عليهم فى خيل فاستأصلهم فتطيروا بضب وأخرجوه وامرأته وهي طامث فانطلقا واحتمل ضب شيئا من ماء ومشيا يوما وليلة الى الغد حتى اشتد الحر وأصابهما عطش شديد فقالت له ادفع إلي السقاء حتى اغتسل به فانا ننتهى الى الماء ونستقي فاغتسلت بما فى السقاء ولم يقع منها موقعاً وأتيا العين فوجداها ناضبة وأدركهما العطش فقال ضب لا هنك انقيت ولاماءك ابقيت فذهبت مثلا ثم استظلا تحت شجرة كبيرة .. فأنشأ ضب يقول

تاللهِ ما ظِلَّةٌ أَصابَ بِها ... سَوادَ قلبي قارِعُ العَطَبِ
ظَلَّ كَئيبَ الفُؤادِ مُضطرِباً ... وتَكتَسي من غَدائِرٍ قُلُبِ
أَنْ يَعرِفَ الماءَ تحتَ صُمِّ صَفاً ... أَو يُخبِرَ النّاسَ مَنطِقَ الخُطُبِ
أَخرَجَني قَومُها بِأَنَّ رَحاً ... دارَتْ بِشُؤمٍ لَهُمْ على قُطُبِ

فلما سمعت ذلك فرحت وقالت قم فارجع الى قومي فانك شاعر فانطلقا راجعين حتي انتهيا اليهم فاستقبلوهم بالسيف والعصا فقال لهم ضب اسمعوا شعرى ثم ان بدا لكم أن تقتلونى بعد فافعلوا فتركوه فصار فيهم عزيزاً .. وقيل ان أول من قال

* فى الصيف ضيعت اللبن * قتول بنت عبد وكانت تحت رجل من قومها فطلقها وانها رغبت فى ان يراجعها فأبى عليها فلما يئست خطبها رجل يقال له عامر بن شوذب فتزوجها فلما بنى بها بدا للزوج الأول مراجعتها وهوى بها هوى شديداً فجاء يطلبها ويرنو بنظره اليها ففطنت به فقالت

أَتَرَكْتَني حَتَّى إِذا ... عَلِقَتْ أَبيضَ كالشَّطَنْ
أَنشأْتَ تَطلُبُ وَصلَنا ... في الصَّيفِ ضَيَّعتَ اللَّبَنْ

فذهبت مثلا فقال لها زوجها الأول واسمه الأشق فهل بقي شيء قالت نعم فاصله عن جميع مالك وطلاقي فان فصلته تزوجتك فرضي بذلك ثم راجع نفسه فقال لها ذلك فقالت أما اذا ضننت بمالك فانطلق الي مكان اذا أنت تكلمت سمع زوجي كلامي وكلامك ثم اقعد كأنك لا تشعر به وقل

لَحا اللهُ بنتَ العبدِ إنَّ وِصالَها ... وصالُ مَلولٍ لا تَدُومُ على بَعْلِ
تُحدِّثُنِي أنْ سوْفَ تقتلُ عامراً ... لأَنْ لمْ يكنْ في مالِهِ عامرٌ مِثْلي
فهيهاتَ تزْويجُ التي تقتلُ الفتى ... إذا ما أَبَتْ يوماً وإنْ كانَ من أجْلي
فتقتلُنِي يوْماً إذا هَوِيَتْ فتىً ... سِواي وإنِّي اليومَ مِنْ وَصلِها مُجْلي

فانطلق الأشق ففعل ما أمرته به فسمعه عامر فوقع في قلبه قوله وقد كان عرف حبها له فصدق ذلك ودخل عليها فطلقها وتزوّجها الأشق .. وذكروا ان بطنا من قريش اشتدت عليهم السنة وكانت فيهم جارية يقال لها زينب من أكمل نسائهم جمالا وأتمهن تماماً واشرفت فرآها شاب يقال له عروة فوقعت في قلبه فجعل يطالعها ولا يقدر على أكثر من ذلك فاشتد وجده بها فلما انقضت السنة وارادوا الرجوع الى منازلهم دعا بعض جواري الحي فقال يا ابنة الكرام هل لك فى يد تتخذين بها عندي شكراً قالت ما احوجني الى ذلك . قال انطلقين الى خيمة فلانة كأنك تقتبسين ناراً فاذا انت جلست فقولي حيث تسمع زينب

الا هلْ لنا قبلَ التَّفرُّقِ ليلةٌ ... ويومٌ فتُقْضَى كلَّ نفسٍ مُناها

فانطلقت الجارية ففعلت ذلك فلما سمعت زينب قولها وكانت تفلي رأس زوجها وكان عنده أخ له .. فقالت مجيبة لها

لَعَمْرِي لقدْ طالَ المقامةُ هاهُنا ... لوَانَّ لِحبِّ حاجةٌ لقضاها

فسمع اخو الزوج قول الجارية وجواب زينب فقال

أَلا يَعلمُ الزَّوْجُ المُفَلَّى بأَنَّها رِسالةُ مَشغوفِ الفُؤادِ رَجاها

فانتبه الزوج لأمرهم وعرف ما أرادت فقال

لَحَى اللهُ مَنْ لا يَستقيمُ بِوِدِّهِ ومَنْ يَمنَحُ النَّفْسَ الطَّروبَ هَواها

انطلقي يا زينب فانت طالق فخرجت من عنده وبعثت الى عروة فاعلمته وأقامت حتى انقضت عدتها ثم تزوجته

*

في العاشرة

ذكروا ان الأخطل كانت عنده امرأة وكان بها معجباً فطلقها وتزوج بعطلقة رجل من بني تغلب وكانت بالتغابي معجبة فبينا هي ذات يوم جالسة مع الأخطل اذ ذكرت زوجها الأول فتنفست الصعداء ثم ذرفت دموعها فعرف الأخطل ما بها فذكر امرأته الأولى وأنشأ يقول

كِلانا على وَجْدٍ بَبيتُ كأَنَّما بجنبيهِ من مَسِّ الفِراشِ قُروحُ

على زَوجِها الماضي تَنُوحُ وزَوجُها على الطَّلَّةِ الأُولى كذلكَ يَنوحُ

قيل .. وخاصمت امرأة زوجها الي زياد فجعلت تعيبه وتقع فيه ، فقال الزوج : أصلح الله الأمير انّ شرّ المرأة كبرها ان المرأة اذا كبرت عقم رحمها وبَذأ لسانها وساء خلقها والرجل اذا كبر استحكم رأيه وقل جهله ، قال : صدقت وحكم له بها ..

وذكروا ان امرأة أتت عبيد الله بن زياد وكانت ذات شحم وجسم وجمال مستعدية على زوجها وكان أسود دميم الخلقة فقال : مابال هذه المرأة تشكوك ، قال : أصلح الله الأمير سلها عما ترى من جسمها وشحمها أمن طعامي أم من طعام غيري ، قالت من طعامك افتمن عليّ بطعام اطعمتنيه والكلاب تأكل ، قال سلها عن كسوتها من مالي هي أم من مال غيري ، قالت من مالك افتمن عليّ بثوب كسوتنيه ، قال وسلها عما في بطنها مني

هو أم من غيرى • قالت منك ووددت انه فى بطني من كلب • قال الرجل اصلح الله الأمير فما تريد المرأة الا أن تُطعم وتُكسى وتُنكح • قال صدقت فخذ بيدها •• قال خرج رجل مع قتيبة بن مسلم الى خراسان وخلّف امرأة يقال لها هند من أجمل نساء زمانها فلبث هناك سنين فاشترى جارية اسمها جمانة وكانت له فرس يسميه الورد فوقعت الجارية منه موقعاً فأنشأ يقول

أَلا لا أُبالي اليومَ ما فعلَتْ هندُ ... إذا بقيتْ عندي الجُمانةُ والوَرْدُ

شديدُ مَناطِ القُصْرَيَيْنِ إذا جرَى ... وبيضاءُ مثلِ الرِّئمِ زيَّنها العِقْدُ

فهذا لأيّامِ الهياجِ وهذه ... لحاجةِ نفسي حينَ ينصرفُ الجُنْدُ

فبلغ ذلك هند فكتبت اليه

أَلا أَقرِه منّي السَّلامَ وقُلْ لهُ ... عُيِّنا بفتيانٍ غطارفةٍ مُرْدِ

فهذا أميرُ المؤمنينَ أميرُهُمْ ... سَبَاناوأغنا كُمْ أَراذِلةَ الجُنْدِ

إذا شاءَ منهُمْ ناشئٌ مدَّ كفَّهُ ... إلى كَبِدٍ ملساءَ أَو كفلِ نَهْدِ

فلما قرأ كتابها أتى به الى قتيبة فأعطاه إياه فقال له أبعدك الله هكذا يفعل بالحرة وأذن له في الانصراف •• قال وسمع عمر بن الخطاب امرأة تنشد وتقول

فمنهنَّ مَن تُسقى بعذبٍ مبرَّدٍ ... نقاخٍ فتلكمْ عندَ ذلكَ قرَّتِ

ومنهنَّ من تُسقى بأَخضرَ آجنٍ ... أُجاجٍ فلولا خشيةُ اللهِ فرَّتِ

فأمر باحضار زوجها فوجده متغير الفم فخيره جارية من المغنم او خمسة مائة درهم على طلاقها فاختار الخمسمائة فدفعت اليه وخلّى سبيلها •• وحكى عن الفضل بن الربيع انه كان بمكة ومعه الفرج الرُّخّجي وكان الفضل صبيحاً ظريفاً والفرج دميماً قبيحاً فخرجا الى الطواف ثم انصرفا الى بعض طرقات مكة وقعدا يتغديان فبينما هما كذلك على طعامهما اذ وقفت عليهما امرأة جميلة بهية حسنة شكلة وعليها برقع فرفعته عن

وجهها فاذا وجه كالدينار وذراع كالجمار فسلمت وقعدت وجعلت تأكل معهما قال الفضل فأعجبني ما رأيت من جمالها وهيئتها فقلت : هل لك من بعل ، قالت : لا ، قلت : فهل لك في بعل من أصحاب أمير المؤمنين حسن الخَلق والخُلق ، قالت : وأين هو ، فأشار الى فرج فقالت : جوابك عند فراغنا فلما أكلت قالت للفضل : تقرأ شيئاً من كتاب الله قال : نعم ، قالت : أفتؤمن به ، قال : نعم ، قالت : فان الله يقول ﴿ومَن يَكُنِ الشَّيطانُ له قَرِيناً فساء قَرِينا ﴾ فضحك الفضل ودخل على الرشيد فأخبره فأمر باحضارها فلما نظر اليها اعجب بها فتزوجها وحملها الى مدينة السلام ،، قال وحج اسماعيل بن طريح فوقفت عليه أعرابية جميلة قال فقال لها : هل لك أن تزوّجيني نفسك ، فقالت من غير توقف

بَكى الحَسَبُ الزّاكي بعينٍ غَزيرَةٍ ... من الحَسَبِ المَنقوصِ أن يَجْمَعا معا

وانصرفت ،، قال العتبي : كنت كثير التزوج فمررت بامرأة فأعجبتني فأرسلت اليها أَلك زوج ، قالت : لا ، فصرت اليها فوصفت لها نفسي وعرفتها موضعي فقالت : حسبك قد عرفناك ، فقلت لها : زوجيني نفسك ، فقالت : نعم ولكن هاهنا شيء تحتمله ، قلت وما هو ، قالت : بياض في مفرق رأسي ، قال فانصرفت فصاحت بي ارجع فرجعت اليها فاسفرت عن رأسها فنظرت الى وجه حسن وشعر أسود فقالت : انا كرهنا منك عافاك الله ما كرهت منا ،، وأنشدت

أرى شيبَ الرِّجالِ من الغَواني ... بمَوْضِعِ شيبِهِنّ من الرِّجالِ

وعن عطاء بن مصعب قال : جاءت امرأة الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقالت : يا أمير المؤمنين لا انا ولا زوجي ، فقال لها : ومالك من زوجك ، قالت : مر باحضاره فأحضر فاذا رجل قذر الثياب قد طال شعر جسده وأنفه ورأسه فأمر عمر ان يؤخذ من شعره ويدخل الحمام ويكسى ثوبين ابيضين ثم يؤتى به ففعل به ذلك ودعا المرأة فلما رأت الزوج قالت : الآن ، فقال لها عمر : اتقي الله وأطيعي زوجك ، قالت : افعل يا أمير المؤمنين ، فلما ولّت قال عمر : تصنّعوا للنساء فانهن يحببن منكم

ماتحبون منهن ،، ويقال ان المرأة تحب اربعين سنة وتقوى على كتمان ذلك وتبغض يوما واحداً فيظهر ذلك بوجهها ولسانها والرجل يبغض أربعين سنة فيقوى على كتمان ذلك وان أحبّ يوما واحداً شهدت جوارحه

نساء الخلفاء

على بن محمد بن سليمان قال : ابى يقول كان المنصور شرط لأم موسى الحميرية أن لا يتزوج عليها ولا يتسرّي وكتبت عليه بذلك كتابا اكدته وأشهدت عليه بذلك فبقى مدة عشر سنين فى سلطانه يكتب الي الفقيه بعد الفقيه من أهل الحجاز واهل العراق وجهد أن يفتيه واحد منهم في التزويج وابتياع السرارى فكانت أم موسى اذا علمت مكانه بادرته وأرسلت اليه بمال فاذا عرض عليه ابو جعفر الكتب لم يُفته حتى ماتت بعد عشر سنين من سلطانه ببغداد فأتته وفاتها وهو بحلوان فأهديت اليه مائة بكر وكان المنصور أقطع أم موسى الضيعة المسماة بالرحبة فوقفتها قبل موتها على المولدات الاناث دون الذكور فهي وقف عليهن الى هذا الوقت ،، حدثنا يحيى بن الحسن عن محمد بن هشام قاضى مكة قال كانت الخيزران لرجل من ثقيف فقالت لمولاها الثقفي انى رأيت رؤيا ، قال وما هي ، قالت رأيت كأن القمر خرج من قبلى وكأن الشمس خرجت من دبري ، قال لها لست من جوارى مثلى انت تلدين خليفتين فقدم بها مكة فباعها فى الرقيق فاشتريت وعرضت على المنصور فقال من اين أنت قالت المولد مكة والمنشأ بُجرَش قال فلك أحد قالت مالي أحد إلّا الله وما ولدت أمي غيرى ، قال يا غلام اذهب بها الى المهدي وقل له تصالح للولد فأتى بها المهدي فوقعت منه كل موقع فلما ولدت موسى وهرون قالت ان لي أهل بيت بجرش ، قال ومن لك ، قالت لي أختان اسمهما أسماء وسلسل ولي ام واخوان فكتب فأتي بهم فتزوّج جعفر بن المنصور سلسل فولدت منه زبيدة واسمها سكينة تزوجها الرشيد وبقيت أسماء بكراً فقال المهدي للخيزران قد ولدت رجلين وقد بايعت لهما وما أحب أن

تبقين أمة وأحب أن اعتقك وتخرجين الى مكة وتقدمين فأتزوّجك ، قالت : الصواب رأيت ، فاعتقها وخرجت الى مكة فتزوج المهدى اختها أسماء ومهرها ألف ألف درهم فلما أحس بقدوم الخيزران استقبلها فقالت : ما خبر اسماء وكم وهبت لها ، قال : من اسماء قالت : امرأتك ، قال : ان كانت اسماء امرأتي فهى طالق ، فقالت له : طلقتها حين علمت بقدومي ، قال : اما إذ علمت فقد مهرتها ألف ألف درهم ووهبت لها ألف ألف درهم ثم تزوج الخيزران ،، قال : كانت نخلة جارية الحسين الخلال قبل أن يتولّى المتوكل الخلافة تقعد بين يديه وتغنيه فولدت للحسين ابناً فلما ولّي المتوكل الخلافة طرقه ليلا فقال له الحسين زرتنا جعلت فداك ، قال اشتهيت أن أسمع غناء نخلة فأخرجها اليه مطمومة الشعر فقال يا خلال أليس قد ولدت منك ابناً ، قال بلى ، قال فأنا أحب أن تعتقها ، قال فانها حرة ، قال فاشهد انى قد تزوجتها قومي يا نخلة ، فاشتد ذلك على الحسين فعوضه منها خمسة عشر ألف دينار وحوّل اليه نخلة ،، قيل ووصف للمتوكل ابنة لسليمان بن القاسم بن عيسى بن موسى الهادى وعدّة من الهاشميات فحملن اليه وعرضن عليه فاختارها من بينهن وصرف البواقي ونزلت منه منزلة حتى ساوى بينها وبين قبيحة فى المنزلة وكانت جارية لها لباقة وملاحة ووصفت له ريطة بنت العباس بن عليّ فحملت اليه فتزوجها ثم سألها ان تطم شعرها وتتشبه بالمماليك فأبت عليه فأعلمها ان لم تفعل فارقها فاختارت الفرقة فطلقها ووصفت له عائشة بنت عمرو بن الفرج الرخجي فوجه في جوف الليل والسماء تهطل الى عمر أن احمل إلي عائشة فسأله أن يصفح عنها فانها القيّمة بأمره فأبي فانصرف عمر وهو يقول اللهم قني شر عبدك جعفر ثم حملها بالليل فوطئها ثم ردها الى منزل أبيها ،، قال وكان الهادى يشاور من اصحابه عبد العزيز بن موسى وعيسى بن دأب والعزيزي وعبد الله بن مالك فخرج ذات يوم اليهم وهو مغضب كأنه جمل هائج منتفخ الأوداج منتقع اللون فأقبل حتى جلس في مجلسه وكان العزيزى أجرأهم عليه فقال يا أمير المؤمنين انا نرى بوجهك ما كدّر علينا عيشنا وبغّض الدنيا الينا فان رأى أمير المؤمنين أن يخبرنا بالسبب فان كان عندنا حيلة أعلمناه بها وان تكن مشورة أشرنا بها وان أمكن احتمال الغم عنه وقيناه بانفسنا وحملنا الغم عنه ، قال فأطرق طويلا والعزيزي

قائم فقال له اجلس يا عزيزى فانى لم أر كصاحب الدنيا قط أكثر آفات وأعظم نائبة ولا أنغص عيشاً ، قال العزيزي : وما ذاك يا أمير المؤمنين ، قال : لبابة بنت جعفر بن أبي جعفر قد علمتم موقعها منى وإثرتها عندى كلمتنى بادلال فاغلظت فلم يكن لها عندي احتمال ولا عندها إقصار حتى وثبت عليها وضربتها ضربا موجعاً ، قال وسكت فقال ابن دأب : يا أمير المؤمنين انك والله لم تأت منكراً ولا بديعاً قد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤدّبون نساءهم ويضربونهن هذا الزبير بن العوّام حوّاري رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمته وثب على امرأته اسماء بنت أبي بكر وهي أفضل نساء أهل زمانها فضربها فى شيء عتب عليها فيه ضربا مبرحا حتى كسر يدها وكان ذلك سبب فراقها وذلك انها استغاثت بولدها عبد الله فجاء يخلصها من أبيه فقال هي طالق ان حلت بينى وبينها ففعل وبانت منه وهـذا كعب بن مالك الأنصاري عتب على امرأته وكانت من المهاجرات فضربها حتى حال بنوها بينه وبينها فقال

فلوْلا بنوها حولَها لَخبَطْتُها ... كَخبطةِ فَرُّوجٍ ولمْ أتلعثمِ

قال : فسُرّي عن موسى الغضب وطابت نفسه ودعا بالطعام فأكلنا وأمر له بعشرة آلاف درهم وثلاثين ثوبا فتلهفت وتعجبت من انقطاعي عن الحديثين وهما في بالى وانا اعلم بهما منه

المطلقات

قيل .. كانت أم الحجاج بن يوسف الفارعة بنت همام بن عروة بن مسعود وكانت عند المغيرة بن شعبة فرآها يوما تخلل بكرة فقال أنت طالق والله لئن كان هذا من غداء يومك لقد شرهت وان كان من عشاء امسك لقد اتتنت فقالت لا يبعد الله غيرك والله ما هو إلا من السواك فخلف عليها بعده يوسف ابو الحجاج فاولدها الحجاج .. وفيها اشعار منها

أهاجتْكَ الظَّعائنُ يومَ بانوا ... بذِي الزِّيِّ الجميلِ منَ الأَثاثِ
ظَعائنُ أُسلِكَتْ نَقبَ المُنقَّى ... تُحَثُّ إذا وَنَتْ أَيَّ احتثاثِ
كأَنَّ على الحَدائجِ يومَ بانوا ... نَعاجاً تَرتَعي بَقْلَ البَراثِ
تُؤَمِّلُ أَنْ تُلاقِيَ أَهلَ بُصْرَى ... فيالكَ منْ لقاءٍ مُستَراثِ
تُهيِّجُنا الحَمامُ إذا تَداعَى ... كما سَجَعَ النَّوائحُ بالمَراثي

وفى زينب أخت الحجاج يقول النميرى

ولم تَرَ عيني مثلَ سِرْبٍ رأيتُهُ ... خَرَجْنَ منَ التَّنعيمِ مُعتَمِراتِ
ولمَّا رأَتْ رَكْبَ النُّميرِيِّ أَعرَضَتْ ... وكُنَّ منَ أَنْ يَلقَينَهُ حَذِراتِ
تَضوَّعَ مِسكاً بَطنُ نَعمانَ إذْ مَشَتْ ... بهِ زَينبٌ في نِسوَةٍ عَطِراتِ
مَرَرْنَ بفَخٍّ ثمَّ رُحْنَ عَشِيَّةً ... يُلَبِّينَ للرَّحمنِ مُؤتَجِراتِ
دَعتْ نِسوَةً ثُمَّ العَرانينِ بُدَّناً ... نواعمَ لا شُعثاً ولا غَبراتِ
فأَدْنينَ لمَّا قُمنَ يَحْجُبْنَ دُونَها ... حِجاباً منَ القَسِّيِّ والحِبَراتِ
أَجَلَّ الذي فوقَ السَّمواتِ عَرْشُهُ ... أَوانِسَ بالبَطْحاءِ مُعتَجِراتِ
يُخَبِّينَ أَطرافَ البَنانِ منَ التُّقَى ... ويَخْرُجْنَ بالأَسحارِ مُعتَمِراتِ

عوانة عن محمد بن زياد عن شيخ من كندة قال : خرج الحارث بن سليل الأسدي زائراً لعلقمة بن حفصة الطائى فلما قدم عليه بصر بابنة له يقال لها الزباء وكانت من أجمل نساء أهل عصرها فأعجب بها فقال لأبيها أتيتك زائراً وقد يُنكح الخاطب ويُكرم الطالب ويفلح الراغب . فقال : انت امرؤ كريم يقبل منك الصفو ويؤخذ منك العفو فاقم ننظر في أمرك ثم انكفأ الى أهله فقال ان الحارث بن سليل سيد قومه منصباً وحسباً وبيتا فلا ينصرفن من عندنا الا بحاجته فأريدى ابنتك عن نفسها فخلت بالزّباء فقالت

يا بنية أي الرجال أحب اليك الكهل الجحجاح الفاضل المناح أم الفتى الوضاح ، قالت : الزمور الطماح ، قالت : يا بنية ان الشيخ يميرك ولا يغيرك وليس الكهل الفاضل الكثير النائل كالحدث السن الكثير الظن ، قالت : يا أماه اخشى الشيخ ان يدنس ثيابي ويشمت بي اترابي ويبلى شبابي ، قال فلم تزل بها أمها حتى غلبتها على رأيها فتزوجها الحارث بن سليل على خمسين ومائة من الابل وألف درهم وابتنى بها ثم رحل بها الى قومه فبيناهو جالس ذات يوم وهي الى جانبه اذ أقبل فتية من بنى أسد نشاوى يتبخترون فلما نظرت اليهم تنفست الصعداء وبكت فقال : ماشأنك ، قالت : مالى وللشيوخ الناهضين كالفروخ قال : ثكلتك أمك تجوع الحرة ولا تأكل بثديها فذهبت مثلا أما وأبيك لرب غارة شهدتها وخيل وزعتها وسبية أردفتها وخمرة شربتها إلحقي بأهلك فأنت طالق .. وقال

تَهزَّأَتْ أَنْ رأَتني لابساً كِبرًا ... وغايةُ النّاسِ بينَ الموتِ والكِبَرِ
فإِنْ يكنْ قدْ علاَ رأْسي وغيَّرَه ... صَرْفُ الزَّمانِ وتغييرٌ منَ الشَّعرِ
فقدْ أَرُوحُ لِلَذَّاتِ الفتى جَذِلاً ... وقدْ أَصيدُ بها عِيناً منَ البقرِ
عنّي اليكِ فإِنى لا تُوافقُني ... عُورُ الكلاَمِ ولاشُرْبٌ على الكَدَرِ

قال .. وقال الحجاج لابن القرّيّة : ما تقول فى التزويج ،قال : وجدت أسعد الناس فى الدنيا وأقرّهم عيناً واطيبهم عيشا وأبقاهم سروراً وأرخاهم بالا وأشبهم شبابا من رزقه الله زوجة مسلمة أمينة عفيفة حسنة لطيفة نظيفة مطيعة ان ائتمنها زوجها وجدها أمينة وان قتّر عليها وجدها قانعة وان غاب عنها كانت له حافظة تجد زوجها أبداً ناعما وجارها سالما ومملوكها آمنا وصبيها طاهرا قد ستر حلمها جهلها وزيّن دينها عقلها فتلك كالريحانة والنخلة لمن يجتنيها وكاللؤلؤة التى لم تثقب والمسكة التى لم تُفتق قوّامة صوّامة ضاحكة بسّامة ان ايسرت شكرت وان اعسرت صبرت فافلح وانجح من رزقه الله مثل هذه وانما مثل المرأة السوء كالحمل الثقيل على الشيخ الضعيف يجره فى الارض جراً فبعلها مشغول وجارها متبول وصبيها مرذول وقطها مهزول ، قال : يا ابن القرّيّة قم الآن

فاخطب لي هندا بنت أسماء ولا تزيدن على ثلاث كلمات فأتاهم فقال : جئت من عند من تعلمون والأمير يعطيكم ما تسئلون افتنكحون أم تدعون ، قالوا : انكحنا وغنمنا فرجع الى الحجاج فقال : أصلح الله الأمير صلاح من رضى عمله ومدّ في الخيرات أجله وبلغ به أمله جمع الله شملك وأدام طولك وأقرّ عينك ووقاك حَيْنك وأعلى كعبك وذلّل صعبك وحسن حالك على الرفاء والبنين والبنات والتيسير والبركة وأسعد السعود وأيمن الجدود وجعلها الله ودوداً ولوداً وجمع بينكما على الخير والبركة فتزوجها الحجاج ثم انه دخل ذات يوم عليها وهي تقول

وما هندُ إلاَّ مُهْرَةٌ عَرَبِيَّةٌ ... سَلِيلَةُ أفراسٍ تَجَلَّلَها بَغْلُ

فإنْ نُتِجَتْ مُهْراً كريماً فبالحَرِيِ ... وإنْ يكُ إقرافٌ فما أنجَبَ الفَحْلُ

فخرج من عندها مغضباً ودعا ابن القرّية فدفع اليه مائة ألف درهم وقال : ادخل على هند وطلقها عني ولا تزد على كلمتين وادفع اليها المال ، فحمل ابن القرّية المال ودخل عليها فقال : ان الأمير يقول كنت فبنت وهذه المائة ألف صداقك ، فقالت : يا ابن القرّية ما سُررت به إذ كان ولا جزعت عليه إذ بان وهذا المال بشارة لك لما جئتنا به ، فكان القول أشد على الحجاج من فراقها ،، وذكروا أن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضى الله عنه كانت عنده عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل فأحبها حباً شديداً فأمره أبوه بفراقها وان يطلقها تطليقة واحدة ففعل ثم ندم على فعله فقال

فلم أرَ مثلي طَلَّقَ اليومَ مثلَها ... ولا مثلَها في غيرِ جُرْمٍ تُطَلَّقُ

لها خُلُقٌ سَهْلٌ وحُسْنٌ ومَنْصِبٌ ... وخَلْقٌ سَوِيٌّ ما يُعابُ ومَنْطِقُ

أُعاتِبُكَ قلبي كلَّ يومٍ وليلةٍ ... إليكِ بما تُخْفِي القلوبُ مُعَلَّقُ

أُعاتِبُكَ ما أنسَكِ ما ذَرَّ شارِقٌ ... وما لاحَ نَجْمٌ في السَّماءِ مُحَلِّقُ

فسمع ابو بكر ذلك فرقّ له وأمره بمراجعتها ،، وعن علي بن دِعبل قال : حدثني أبي قال خرجت ومعي اعرابي ونبطي الى موضع يقال له بطيانا من أمصار دجلة

متنزهين فأكلنا وشربنا فقال الاعرابي : قل بيت شعر فقلت

نلنا لذيذ العيش في بطياثا

فقال الاعرابي لما حششنا أقدحاً ثلاثا

فقال النبطي وامرأتي طالق ثلاثا

وما زال يبكي حتى الصباح فقلت له : ما يبكيك ، فقال : ذهبت امرأتي بقافية ،، قال اسحاق بن ابراهيم الموصلي " كنت انا والحسين بن الضحاك يوما عند المعتصم وحضرت قينة تعرض عليه فأعجب بها فقال للمدنيين : كيف ترونها ، فقال احدهم : امرأته طالق ان كان رأى مثلها ، وقال آخر : امرأته طالق ان لم ، وسكت فقال المعتصم : ان لم ، قال : لا شئ ، فضحك وقال له : ويحك ما دعاك الى طلاق أهلك بلا سبب ، فقال : يا أمير المؤمنين كلنا قد طلق امرأته بلا سبب ،، ومما قيل في ذلك من الشعر

رَحلَتْ أُمَيَّةُ بالطَّلاقِ ونجوتُ من رِقِّ الوثاقِ

بانتْ فلمْ يجزَعْ لها قلبي ولم تدمَعْ مآقي

لو لمْ أُرِحْ بفِراقِها لأَرحتُ نفسي بالإباقِ

وخَصيتُ نفسي لا أُريـــدُ حَليلةً حتَّى التَّلاقي

وقال آخر

رأيتَ أثاثَها فطَمِعتَ فيها وقد نَصبَتْ لغيرِكَ بالأثاثِ

فطلِّقْها وعَدِّ النَّفْسَ عنها سريعاً إنَّ نفسَكَ في التواثِ

وإلاَّ فالسَّلامُ عليكَ إني سآخُذُ من غَدِلكَ في المراثي

محاسن وفاء النساء

قال الكسرويّ كتب بلاش بن فيروز الى ملك الهند يخطب ابنته فلم ينعم له وردّ رسوله خائبًا فتجشم وسار اليه فى خيله ورجله فلما اصطفت الخيلان دعاه بلاش الى المبارزة وقال انه عار على الملوك ان يوردوا جنودهم الهلاك ويفوزوا بأنفسهم فبرز اليه ملك الهند فاختلفت بينهما ضربتان فمنعت بلاشاً حصانة درعه وضرب بلاش الهنديّ على عاتقه فقطع حبله حتى انتهى السيف الى سندوءته فخرّ ميتاً وانهزمت خيله فافتتح بلاش مدينته وامر ثقاته فاحدقوا بقصر ابنة الملك فلما احتوى على أمواله بعث الى ابنة الملك أن تأتيه فقالت للرسول وهي تبكي: قل للملك المزيّن بالحلم المحبب في رعيته السعيد بالظفر انك قد ملكتنى وصرت ممن يستحق عطفك ورأفتك فان رأيت أن تطيب نفساً عن النظر إلي حتى ترجع الى دار مملكتك فافعل ، فانصرف الرسول الى بلاش فاخبره فاجابها الى ما سألت وسار وحملها حتى قدم دار المملكة فهيّأ لها مقصورة مفردة عن سائر حرمه فانزلها فيها وأمر لها بعتيق الديباج وفاخر الجوهر واسفاط من الذهب والصلاة والجوائز والأثاث مالم يأمر لغيرها من نسائه واستأذنها في الدخول عليها فأذنت له فدخل عليها وأقام عندها سبعة أيام ولياليها عجباً منه بها لا يحير اليها جوابا ولا يخف عن صدر مجلسها فخرج من عندها اليوم الثامن وقد وقع في قلبه ما أظهرت من خفة مجلسه عليها ولبث أشهراً لا يدخل عليها فقالت يوما لحاضنتها ما أعجب أمر الملك بذل دمه فى طلبي حتى اذا ظفر بى سلا عني انطلقي حتى تسألي عن عدة نسائه وأيهن أكرم عليه وأتيني بعلم ذلك ، فانطلقت حتى عرفت ذلك وانصرفت فقالت : اني وجدت له أربعمائة امرأة ما بين أمة وحرة وليس فيهن أكرم عليه من ابنة سائس من سوّاسه اعجبته فتزوج بها ، فقالت : انطلقي اليها واقرئيها مني السلام واعلميها اني اريد مؤاخاتها والانقطاع اليها فانطلقت الحاضنة الى ابنة السائس فأبلغتها رسالة مولاتها ، فقالت لها : اقرئيها مني السلام واعلميها اني قد احببتها وأجبتها الى ما سألت فتصير إليّ فانصرفت فأخبرتها بما قالت فتهيأت باحسن هيئة

وأقبلت اليها ودخلت عليها فرفعت مجلسها واقبلت عليها فذكرت حبها لها ورغبتها فى مواصلتها فردت عليها ابنة السائس أحسن رد واعلمتها سرورها بذلك ثم تحدثا ساعة وانصرفت وجعلت الهندية تأتيها غبا وتظهر الأنس بها فلما أنست بها قالت لها : انك قد استلبت قلب الملك وقهرت جميعنا بفضلك وليس لواحدة منا نصيب فاعلمينا الأمر الذي فضلتينا به لنزداد سرورا بما أوتيت ومحبة لك والانقطاع اليك . قالت : اني لما عرفت ضعف نسبى وقلة جمالي علمت انه لا يرجع الملك منى الى شئ أحظى به عنده مثل المؤاتاة في الخلوة وان ابسطه اذا هم بالحركة واستميل قلبه باللطف وفضل الخدمة فلما رآنى على ذلك مستمرة ورأى من سائر نسائه أنفة الأكفاء وزهو الجمال وخيلاء الملك وعلمت اني ان أخذت ما أخذنه مع خمول نسبى وقلة جمالي ودقة خطرى لا يليق بى مثل الذي يليق بهن ففضلني على جميع نسائه بذلك ، فلما سمعت ابنة الملك ذلك علمت ان قلوب الرجال لا تستمال إلا بالمؤاتاة وسرعة الاجابة في الباه عند المشاغلة فعزمت أن تجعل ذلك عدة لاستعطاف قلب الملك فانصرفت الى قصرها وقالت لبعض جواريها : اذهبي الى فلانة — تعني ابنة السائس — فان رأيت الملك عندها فاعلميها انى عليلة من وجع عرض لي فانطلقت الجارية فاذا الملك عندها فأخبرتها بذلك فرق الملك لها وذكر غربتها وقتله أباها فقال لابنة السائس : ما ترين فى اتيانها ، فقالت ايها الملك انه ليس فى نسائك من لها عندي مثل منزلتها فصر اليها فانها غريبة قد فارقت أهلها وهي فى موضع رحمة ، فقام الملك حتى دخل عليها وانتهى الى باب مجلسها فقامت اليه تمشي بأحسن هيئتها متكسرة فى حليها وزينتها عبقة بطيبها وعطرها فقبلت بين عينيه وأخذت بيده حتى أجلسته في صدر فراشها وجعلت تقبل يديه ورجليه ضاحكة اليه مظهرة السرور به ، فجذبها الى نفسه ودعاها الى المضاجعة فأتته ولم يرد في الخلوة شيئاً إلا أجابته اليه فلما قضى حاجته نازعها الى المحادثة فقال : اين ما ذكر رسولك من شدة وجعك ، قالت : ياسيدى كنت متوجعة لفراقك حتى شفانى لقاؤك وقلت ذلك لما نالنى من تباريح الشوق اليك وطول صدودك وسلوتك ثم أخذ معها فى المداعبة وأقام عندها سبعة أيام فبينا هما يتلاعبان ويتذاكران ويتعانقان اذ دخلت جارية لابنة السائس فحيت الملك بتحية الملوك ثم قالت

للهندية ان سيدتي — تعني ابنة السائس — تقول قد اجتمع فيك ثلاث خصال الأولى الغدر بمعاهدتك والثانية فضل تطاولك والثالثة كفران النعمة للمنعم وانى عن قريب رادتك من الملك الى غصص الغيظ ، فاغتمها وهمات عيناها ونظرت الي الملك كالمستغيثة به ، فقال لها الملك يا حبيبتي ما تنكرين من أمتك قد وهبتها لك وجميع ما تملك ، فتجلّى عنها غمها فقالت لرسولها انطلقي اليها فاعلميها ان الملك قد وهبها وما تملك لي وقولي لها أرجعك فخش نفسك الى لؤم حسبك واهمال أدبك إنّتيني الساعة بصغار المذلة ورقة العبودية فلما ابلغتها الرسول ذلك أقبلت فدخلت عليها فحيت الملك وقامت بين يديه ، فقالت لها الهندية ما كان أعظم زهوك في رسالتك ، قالت يا سيدتي أتأذنين لي في الكلام ، قالت تكلمي ، قالت أيتها السيدة لست متوجهة اليك بشيء هو أملك بك من حامك ولا اعطف عليّ من فضالك ولم يظلم من رفع فوقي من هو أفضل مني وكلّ فرع يرجع الى أصله وكل زهر ينسب الى سنخه ، فقالت صدقت فدعي عنك كلام الأدب فقد ملكتك على رغم أنفك وانا مزوجتك من فلان خادمي فليس لك فضل عليه ، قالت ابنة السائس من اعتاد معالي الأمور لم تطب نفسه بأسافلها ومن صاحب العظماء أبت غريزته الأدنياء وانما ترقّبت عطفك ورجوت حسن نظرك فاما اذ عزمت على هذا فقد طاب الموت وما الذي أستبقي منك ثم قالت أيها الملك ان جذل المسرة منك لا يستقر ويقع موقعه الاّ بعد في المخالفة عندك فاحترس من هذه الهندية فانها لا تؤمن عليك لأنها ليست من جنسك فيعطفها عليك الرحم ولا من أهل مملكتك فتعرف تطوّلك عليها وانما هي شبيهة بموتورة قد قتلتَ أباها وهدمتَ عزها فاحترس منها ولا يلهينك موقعها من قلبك فانها متى احتالت في قتلك لم يكن في ايدينا من الظفر الا قتلها كما كان من أمر الثعلب وعظيم الطير ، فقال الملك وما كان من حديثهما ، قالت يقال ان ثعلباً جاع في ليلة فرقى شجرة ليأكل منها فسال الوادي الذي فيه تلك الشجرة بسيل شديد فاقتلعها والثعلب عليها ثم رفعها ووضعها حتى ألقى الثعلب الي أرض بعيدة من أرضه فأصبح وقد ألقاه السيل الي سفح جبل كثير الأشجار مثمر الأغصان وعلى تلك الأشجار جنس من الطير لا يحصي عدداً فاقبل الى شجرة قصياً مقشعراً لا يعرف أرضه ولا يقدر على

مؤالفة الدواب فمرّ به عظيم الطير فقال له ما أنت فقال انا دابة سال بي السيل فألقاني في جبلكم وقد أصبحت غريباً فقال له عظيم الطير فهل لك حرفة قال نعم اعرف الثمار اذا بلغت حد بلوغها وأصنع للطير أكنافا في الأرض تكن فيها فراخها من الحر والبرد فقال له عظيم الطير قد أدركت عندنا بغيتك فأقم عندنا نواسك ونعرف حق مجاورتك فأقام الثعلب عند ملك الطير فكان يعرفهم الثمار المدركة ويحفر لهن بمخاليبه قبوراً في الأرض يفرخن فيها وكان الثعلب اذا جنّ عليه الليل وقرم الى اللحم ادخل يده في جحر من تلك الأجحرة فأخرج طيراً أو فراخه فأكله ودفن ريشه وجعلت الطير تتفقد ما كان يأكل واحداً بعد واحد فقال بعضها لبعض ما فقدنا أفاضلنا الا منذ صارت هذه الدابة بين أظهرنا وما كانت هذه الطير تطيل الغيبة وما ندري مادهاها فقال لها عظيمها ان هذا حسد منكن لهذه الدابة فلا تغفلن ما أصبحتن فيه من فضل المطعم وما فيه فراخكن من هذه الأكنان التي لا يخاف عليها برد فيها ولا حر فقالت الطير أنت سيدنا وأبصر بالأمور منا قال وعلىّ أن أقطع هذا القول وأبيّن حق ذلك من باطله بنفسي فلما أظلم الليل نزل من الشجرة فدخل بعض تلك الأكنان وأقبل الثعلب على العادة التي اعتادها الى ذلك المكن فأدخل يده فقبض على رأس الملك فقال الملك للثعلب لقد نصحتني الطير لو قبلت نصحها قال الثعلب أنت هو قال نعم قال ما ظننت أن يبلغ من حمقك كل هذا قال ملك الطير دعني أردك في منزلتك بحسب ما رأيت من فضل علمك ولطيف حيلك قال له الثعلب ان أبوي أبّيا أن لا أعلق انيابي بشئ وأتركه إذ ليس من جهلك ان لا تجزأ من الثمار ومن الأكنان بما كان آباؤك يكتفون به ولم ترض حتى اختبرت أمرى بنفسك ولم تجعل التقرير في ذلك بغيرك ثم أكله ودفن ريشه وفقدت الطير عظيمها فاستوحشت وضربت الثعلب ضربا بمخاليبها ومناقيرها حتى قتلته ولم يصن في عظيم خطر ملكهن الى أكثر من قتل الثعلب فاحترس من هذه الهندية ، قالت الهندية انما تقر عين المرأة بأربعة رجال بأبيها وأخيها وولدها وبعلها وأفضل النساء المختارة بعلها على جميع أهلها والمؤثرة له على نفسها فكيف بمن ذهب أبوها وأخوها فبقي بعلها أفتحب أن تهلكه على ان مثلك في رداءة همتك وخبث نيتك مثل الغراب والحمامة ، قال الملك

وما كان من حديثهما ، قالت زعموا ان غرابا ألف مطبخا لبعض الملوك فأخذ من أطيب الاطعمان التى قد صارت فيه شيئاً فظنوا ان الغراب أخذه لقلة وفائه ولؤم جوهره فطردوه عن مطبخهم وقالوا ما نرجوا من هذا الغراب وهو من الطيور التى تعاف ويتطير منها فأفشى ذلك الغراب أمره الى حمامة قد كان بينهما معرفة وفزع الي رأيها وأخبرها ما كان فيه من نعيم المأكل والمشرب فقالت له الحمامة انطلق بى حتى ترينى هذا المطبخ فانطلق حتى اتي سطح المطبخ فقالت الحمامة اني أرى هذا البيت ليس فيه موضع مدخل فاحفر لي بمنقارك قدر ما أدخل فان منقاري يضعف عن ذلك فحفر الغراب في سقف البيت بمنقاره حتى دخلت فيه الحمامة وتوسطت في البيت فأعجبهم حسن خلقها وصفاء لونها فجعل لها خازن المطبخ موضعاً تأوي اليه فلبثت فى ذلك البيت قريرة عين فنـاداها الغراب ما هكذا قدّرت فيك فقالت الحمامة لو وفيت لك حلّ بي غدرك وان القوم عرفوا وفائي وحسن جوارى وعرفوا غدرك وقلّة وفائك ونكث عهدك فهذا مثلي ومثلك يا ابنـة السائس انى لو وفيت لك اردانى غدرك وقتلنى مكرك ، قالت ابنة السائس ايتها السيدة ان الذي سمعت منى كان لشدة الأنفة فأردت أن أنفي عن نفسي الذى أردت من انكاحى خادمك فلاناً ، قالت الهندية لا بد من ذلك ، فقالت ابنة السائس من اعتاد معالي الأمور لم تطب نفسه بأسافلها الآن استعذبت الموت فعمدت الى سُمّ كان معها فقذفته في فيها فخرت ميتة ووفت الهندية لزوجها فأفلحا ،، ومنهن شيرين امرأة ابرويز فان شيرويه بن ابرويز لما قتل أباه وتوطد له الملك بعث الى شيرين يدعوها الى نفسه فامتنعت عليه وأبت أن تجيبه الي ذلك فغصبها ضياعها وعقارها وذخائرها وأموالها وقذفها بكل فاحشة ورماها بكل معضلة فلما بلغها ذلك هان عليها ما أخذه من أموالها مع ما رماها به فبعثت اليـه وقالت ايها الرجل ان لم يكن مما سألت بد فاقض لي ثلاث حوائج حتى أتابعك على ما تريد فقال وما هذه الحوائج قلت احدها ان تردّ علىّ ضياعي وأموالي والثانية أن تصعد منبرك بمحضر مرازبتك وأساورتك وعظماء أهل مملكتك وتتبرأ مما قذفتنى به والثالثة ان أباك أودعنى وديعة فتأمر أن يفتح لي باب الناووس حتى أردها عليه فاجابها الى ذلك وأمر بفتح باب الناووس لها ومعها خاتم وفيه سُمّ ساعة فنثرته في فيها وعانقت قبر زوجها فماتت

﴿ ضـلّه ﴾

قيل ،، كان لكسرى ابرويز خل يقال له بسطام فخالف على كسرى وجمع جمعا كثيراً وواقع ابرويز فلما أعيت ابرويز الحيلة فيه دعا بكردي أخي بهرام جور ويقال ان كردياً كان غلاما له رباه وبلغ منه مبلغ الرجال وكان من خاصته والناصحين له فقال له قد ترى ما نزل بنا من هذا العدوّ بسطام وقد رأيت رأيا ان طابقتنى عليه رجوت الظفر ، قال كردي وما ذاك أيها الملك اخبرنى فما شئ يزيدك الله به عزاً ويزيد أعدائك به ذلّا إلّا بادرت اليه بنصح وصدق لعظيم حقك ووجوب طاعتك ، قال له كسرى قد عرفت حال كردية أختك امرأة بسطام وجراءة قلبها وبسطام يأوى اليها كل ليلة اذا انصرف عن الحرب وانا جاعل لها عهد الله وميثاقه وزمة انبيائه ان هي أراحتنى من بسطام واحتالت لي فى قتله ان اتزوّجها واجعلها سيدة نسائي وابلغ فى اكرامها والسمو بها أفضل ما بلغ ملك بامرأته ، قال كردي يا أيها الملك ما أشك فى قدرتها عليه فاكتب اليها بخطك بما رأيت لأوجهه فى الكتاب اليها مع امرأتى ارجيّة فان لها عقلا ورفقا وبصيرة فكتب كسرى بخطه ﴿ بسم الله الرّحمن الرّحيم ﴾ هـذا كتاب لكردية بنت بهرام جسنفاسب كتبه لها كسرى ابرويز بن هرمز ان لك عندى عهد الله وذمته وذمة انبيائه ورسله ان أنت قتلت بسطام وارحتيني منه ان اتزوج بك واجعلك سيدة نسائى وابلغ من كرامتك ما لا يبلغ ملك من الملوك لأحـد وأشهد الله على ذلك وكفى بالله شهيدا وكتب كسرى بخطه وختمه بخاتمه يوم كذا من شهر كذا فسارت ارجية حتى دخلت عسكر بسطام كهيئة الزائرة لكردية بالنظر اليها وكان بينهما قرابة فلما جلست وسكنت دفعت اليها كتاب كسرى وقالت لها يا ابنة عم اجيبي الملك الى ما سألك واغتنمي بذلك الرجوع الى وطنك فرغبت لشدة شوقها الى اهلها فاجابتها الى ذلك وانصرفت ارجية الى عسكر كسرى وعرفت زوجها ما كان بينها وبين كردية فمضى كردي الى كسرى فاعلمه ثم ان بسطام دخل على كردية فأتته بعشاء فتناول منه ثم اتتـه بشراب فسقته

وجعلت تحدّثه وتظهر له المحبة حتى مضى ثلث الليل فنام بسطام فلما استثقل نوما قامت اليه كردية بسيفها فوضعته على ثندوته ثم اتكأت فأخرجته من ظهره فمات وعمدت من ساعتها الى دوابها فحملت حشمها وأثقالها على البغال وخرجت نحو عسكر كسرى وقد كانت وجّهت مع أرجية الى أخيها ان يجلس لها على الطريق فلما وافته سار معها حتى أدخلها على كسرى ففرح بذلك فرحا شديداً فلما أصبح أصحاب بسطام ورأوه قتيلاً ولوا هاربين على وجوههم فانصرف كسرى الى المدائن فاتخذ لكردية تاجا مكللاً بالدر وصنوف الجوهر وأعدّ لها وليمة عظيمة دعا فيها جنوده فطعموا وشربوا ثم دعا كردياً أخاها فزوجه أياها ومهرها وأعطاها خاتماً فصه من الكبريت الأحمر يضيء في الليلة الظلماء كما يضيء السراج فلما دخل بها كسرى ونظر الى جمالها وعقلها سرّ بها واعطاها الأموال واقطعها الضياع وأكرم أخاها كردياً وولاه أرض فارس وبلغ بها من رفعه اياها وتشريفه لها مالم تبلغه امرأة قبلها ولا بعدها ثم ان كردية قالت لكسرى ياسيدي أخرج بنا الى الميدان لألعب بين يديك بالكرة والصولجان فخرج معها الى الميدان وخرجت امرأته شيرين وخواصّ نسائه ودعا بخيل فأسرجت وركبت وركب هو وجعلت تلاعبه بالصوالج وتناولت السيف وركضت في الميدان ولعبت بالسيف لعباً معجباً ثم أخذت الرمح فلعبت به فقالت شيرين أيها الملك ما يؤمنك من هذه الشيطانة ، قال : هيهات انها أعرف بحقّنا وأشدّ حباً لنا من أن نخافها على انفسنا ، فلما نزلت قال كسرى : لنا في كل ربع من أرباع مملكتنا قائد في اثني عشر ألف رجل وفي قصري اثني عشر ألف امرأة وقد جعلتك قائدة عليهن ، قالت : ياسيدي ما للنساء والفروسية وانما علينا أن نتزين لك ونتطيب ونسرّك بأنفسنا وأردت بما كان مني سرورك وتسلية همومك فأمر كسرى بحمل طعامه وشرابه الى منزلها وبقي عندها اسبوعا لم يخرج الى الناس ولم يأذن لأحد بالدخول عليه ثم خرج من عندها الى منزل شيرين فأتاه صياد بسمكة عظيمة فأعجب بها وأمر له بأربعة آلاف درهم ، فقالت له شيرين : أمرت لصياد بأربعة آلاف درهم فان أمرت بها لرجل من الوجوه قال انما أمر لي بمثل ما أمر للصياد ، فقال : كيف أصنع وقد أمرت له ، قالت : اذا أتاك فقل له اخبرني عن السمكة أذكر هي أم أنثى فان قال انثى فقل لا تقع عيني

عليك حتى تأتيني بالذكر وان قال ذكر فقل مثل ذلك فلما غدا الصياد على الملك قال له اخبرني عن السمكة أذكر هي أم أنثى ، قال : بل أنثى ، قال : فأتني بذكرها ، فقال : عمّر الله الملك انها كانت بكراً لم تتزوج بعد ، قال الملك : زه زه وأمر له بأربعة آلاف درهم وأمر أن يكتب في ديوان الحكمة : ان الغدر ومطاوعة النساء يورثان الغرم ،، قال وكان الموبذان اذا دخل على كسرى قال : عشت ايها الملك بسعادة الجد ورُزقت على أعدائك الظفر وأُعطيت الخير وجُنبت طاعة النساء ، فغاظ ذلك شيرين وكانت أجمل نساء عصرها وأتمّهن عقلا فقالت لكسرى : ايها الملك ان هذا الموبذان قد طعن فى السن ولست مستغنياً عن رأيه ومشورته وقد رأيت لحاجتك اليه ان أهب له مسكدانة جاريتى وقد عرفت عقلها وجمالها فان رأيت أن تسأله قبولها فافعل ، فكلم كسرى الموبذان فى ذلك ، فهشّ للجارية لمعرفته بجمالها وفضلها فقال : قد قبلتها أيها الملك لايثارها إياي بافضل جواريها ، فقالت شيرين لمسكدانة : انى أريد ان تأتي هذا الشيخ فتبدي له محاسنك وتجيدي خدمته فاذا هشّ لمضاجعتك فامتنعي عليه حتى توكفيه وتركبيه وتعلميني الوقت الذي يتهيأ لك ذلك حتى لا يعود ان يزيد في تحية الملك ــ ووُقيت طاعة النساء ــ فقالت مسكدانة : افعل يا سيدتى ، ثم انطلقت الى الشيخ فصارت عنده فى داره التى يحلها من قصر الملك فجعلت تخدمه وتبرّه وتظهر له الكرامة وهي مع ذلك تبرز له محاسنها وتكشف له عن صدرها ونحرها وتبدى له ساقيها وفخذيها فارتاح الموبذان اليها وشرح صدره لمضاجعتها فجعلت تمتنع عليه فيزداد فى ذلك حرصاً فلما ألحّ عليها قالت له : ايها القاضى ما انا بمجيبتك الى ما سألت حتّى أوكفك وأركبك فان اجبتنى الى ذلك صرت طوع يدك فيما تريد وتدعو اليه من مسرتك فامتنع عليها اياماً وبقيت تتزين له بزينتها وتكشف له عن محاسنها حتى عيل صبره فقال لها : افعلى ما احببت ، فهيأت له برذعة صغيرة وإكافاً صغيراً وحزاما ونفراً وأقامته عريانا على اربع ووضعت على ظهره البرذعة والاكاف وجعلت النفر تحت خصيتيه وهي قائمة وركبته وهي تقول خر خر وأرسلت الى سيدتها شيرين تعلمها بذلك فقالت شيرين للملك : اصعد بنا الي ظهر بيت الموبذان لننظر من الروزنة مايكون بينه وبين الجارية فصعدا

ونظرا فاذا هي قد ركبته فوق الاكاف ، فناداه كسرى : ويحك أي شئ هذا ، فرفع الموبذان رأسه ونظر الى الروزنة ورأي الملك فقال : هو ما كنت أقول لك في اجتناب طاعة النساء ، فضحك كسرى وقال : قبّحك الله من شيخ وقبّح مستشيرك بعد هذا ،،

حديث الزبّاء ومنهن الزباء واسمها هند وملكت الشام بعد عمها الضّنور وكان جذيمة الأبرش قتل عمها فبعث اليها جذيمة يخطبها فأظهرت البشر والسرور لرسوله وكتبت اليه بالقدوم عليها لتزوّجه نفسها فاستشار نصحاءه فقالوا : ايها الملك ان تزوجت بها جمعت ملك الشام وملك الجزيرة الى ملكك ، فاستخلف ابن أخيه عمرو بن عديّ وسار في ألف فارس من خاصته فلما انتهى الى مكان يسمى بقّة وهو حدّ مملكتها ومملكته نزل في ذلك المكان واستشار أصحابه أيضا فى المصير اليها والانصراف فزيّنوا له الإلمام بها وقالوا : انك ان انصرفت من ههنا انزله الناس منك على جبن ووهن ، فدنا منه مولى له يقال له قصير بن سعد فقال له : ايها الملك لا تقبل مشورة هؤلاء وانصرف الى مملكتك حتى يتبين لك أمرها فانها امرأة موتورة ومن شأن النساء الغدر ، فلم يحفل بقوله ومضى حتى اقتحم مملكتها فقال قصير ـ ببُقّة صُرِمَ الأمر ـ ثم أرسلها مثلا ، فلما بلغ المرأة قدومه عليها أمرت جنودها فاستقبلوا الملك فقال قصير : ايها الملك انى رأيت جنودها لم يترجلوا لك كما يترجل للملوك ولست آمن عليك فاركب العصا وانج بنفسك ـ والعصا كانت فرساً لجذيمة لا يشق غبارها ـ فلم يعبأ جذيمة بقوله وسار حتى دخل المدينة وأمرت هند الزباء باصحابه ان ينزلوا فأنزلوا وأخذت منهم أسلحتهم ودوابهم وأذنت لجذيمة فدخل عليها وهي في قصر لها ولم يكن معها فى قصرها الّا الجوارى فأومأت اليهن بأن يأخذنه واجتمعن عليه ليكتفنه فامتنع عليهن فلم يزلن يضربنه بالأعمدة حتى أثخنه وكتفنه ثم دعت بنطع فاجلسته فيه وكشفت عن عورتها فنظر جذيمة فاذا لها شعرة وافية فقالت : كيف ترى عروسك أشوار عروس أم ما ترى ، قال : أرى بظراً ناتئاً ونبتاً فاشياً ولا أعلم ما وراء ذلك ، قالت : اما انه ليس من عدم المواسي ولا لقلة الأواسى ولكنه شيمة من أناسى ثم أمرت به فقطعت عروقه فجعلت دماؤه تشخب فى النطع فقالت : لا يحزنك ما ترى فانه دم هراقه أهله فأرسلتها مثلا ، واحتال قصير للعصا حتى

وصل اليها وركبها ثم دفعها فجعلت تهوى به كأنها الريح وكان المكان الذي قُصد فيه جذيمة مشرفاً على الطريق فنظر جذيمة اليه وقد دفع الفرس فقال : لله حزم على رأس العصا فلم تزل دماؤه تشخب حتى مات ، ثم أمرت بأصحابه فقتلوا بأجمعهم وكان عمرو بن عدي يركب كل يوم من الحيرة فيأتي طريق الشام يتجسس عن خبره وحاله فلم يبلغه أحد خبره فبينا هو ذات يوم في ذلك اذ نظر الى فرس مقبل على الطريق فلما دنا منه عرف الفرس وقال : ياخير ما جاءت به العصا فذهبت مثلا فلما دنا منه قصير قال له : ماوراءك قال : قتل خالك وجنوده جميعا فاطلب بثارك ، قال : وكيف لي بها وهي أمنع من عقاب الجو ، فذهبت مثلاً ثم ان قصيراً أمر بأنف نفسه فجدع ثم ركب وسار نحو الزباء فاستأذن عليها فقيل لها ان مولى لجذيمة وقهرمانه واكرم الناس عليه قد اتاك مجدوعا فأذنت له فدخل عليها قالت : من صنع بك هذا ، قال : ايتها الملكة هذا فعل عمرو بن عدى اتهمني وتجنّى عليّ الذنوب وزعم انى أشرت على خاله بالمصير اليك حتى فعل بي ما ترين ولم آمنه ان يقتلني فخرجت هاربا اليك وقد أتيتك لأكون معك وفي خدمتك ولي جداء وعندى غناء ، قالت : نعم اقم فعندي لك ما تحب وولّته نفقتها فخف لها ورأت منه الرشاقة فيما أسندته اليه فأقام عندها حولا ثم قال لها : ايتها الملكة ان لي بالعراق مالا كثيراً فاذا أذنت لي في الخروج لحمله فافعلي فدفعت اليه مالا كثيراً وأمرته أن يشترى لها ثيابا من الخزّ والوشي ولآلئ وياقوتاً ومسكا وعنبرا والنجوجا فانطلق حتى اتى عمرا فأخبره فاخذ منه ضعفي ما لها وانصرف نحوها فاسترخصت ما جاء به وردّته الثانية والثالثة فكان ياخذ في كل مرة مثل أضعاف ما لها فيشترى لها جميع ما تريد فتسترخصه ووقع قصير بقلبها فاستخلفته ثم بعثته في الدفعة الرابعة بمال عظيم وأمرته ان يشترى اثاثاً ومتاعا وفرشاً وآنية فانطلق الى عمرو فقال : قد قضيت ما عليّ وبقي ما عليك ، فقال وما الذي تريد ، قال : اخرج معي في ألفي فارس من خدمك وكونوا في أجواف الجواليق على كل بعير رجلان فانتخب عمرو ألفي فارس من أصحابه فخرج وخرجوا معه في الجواليق كل رجل بسيف وكان يسير النهار فاذا أمسى الليل فتح الجواليق ليخرجوا ويطعموا ويشربوا ويقضوا حوائجهم حتى اذا كان بينه وبين مدينتها مقدار ميل تقدم

قصير حتى دخل عليها وقال : أيتها الملكة اصعدي على القصر لتنظري ما اتيتك به ، فصعدت فنظرت الى ثقل الأحمال على الجمال فقالت

ما للجمالِ مَشيُها وئيدَا أجندلاً يحملنَ أم حديدَا

أم صَرفاناً بارداً شديدَا

فأجابها قصير سراً وقال

بل الرّجالَ جُثَّماً قُعوداً

فقال : لما عليها من المتاع الثقيل النفيس فأمرت بالأحمال فادخلت قصرها وكان وقت المساء فقالت : اذا كان غداً نظرنا الى ما أتيتنا به ، فلما جنّ عليهم الليل فتحوا الجواليق وخرجوا فقتلوا جميع من في القصر وكان لها سرب تداعدّه للفزع والهرب ان حل بها روع تخرج الى الصحراء وقد كان قصير عرف ذلك المكان ووصفه لعمرو فبادر عمرو الى السرب فاستقبلته الزّباء فولت هاربة نحو السرب فاستقبلها بالسيف فمست فصها وكان مسموما وقالت بيدى لا بيدك يا عمرو ولا بيد العبد ، فقال عمرو : يده ويدى سواء وفى كليهما شفاء وضربها بسيفه حتى قتلها ، وأقبل قصير حتي وقف عليها فجعل يدخل سيفه فى فرجها ويقول

ولوراً وْني وسَيفي يوْمَ أُدْخلُهُ في جوْفِ زَبَّاءَ ماتوا كلُّهُم فَرَحا

وغنم عمرو وأصحابه من مدينتها أموالاً جليلة وانصرفوا الي الحيرة فكان الملك بعد خاله جذيمة وعمرو هذا هو جد النعمان بن المنذر بن عمرو بن عدى .. ومنهن صاحبة الجعد بن الحسين ابى صخر بن الجعد وكان جعد قد طعن في السن وكان يكنى أبا الصموت وكانت له وليدة سوداء فقالت يا أبا الصموت زعم بنوك أن يقتلونى اذا أنت مت قال : ولم ذاك ، قالت : مالي اليهم ذنب غير حبك فاعتقنى فأعتقها فبقيت يسيراً ثم قالت يا أبا الصموت هذا عرابة من أهل عدن يخطبنى ، قال : ما كان هذا ظني بك ، قالت : انما أريد ماله لك ، فقال : ائتيني به فجاءت به فزوجها منه فولدت منه وقرّبته من مال

جعد وكانت تأتى الجعد فتخضب رأسه ثم قطعته فقال الجعد

أَبلغْ لدَيكَ بنى عَمْرٍ مُغَلْغَلَةً ... عوْفاً وعَمْرًا فما قوْلي بمرْدودِ

بأَنَّ بيتيَ أَمسَى فوْقَ داهيةٍ ... سوْداءَ قدوَعدَتْنى شرَّ مَوْعودِ

تُعْطي عُرَابةَ بالكفينِ مُخْتضباً ... منَ الخلوقِ وتُعْطيني على العُودِ

أَمسى عُرابةُ ذامالٍ وذا وَلدٍ ... منْ مالِ جَعْدٍ وجَعْدٌ غيرُ محمود

ومنهن ٠٠ امرأة مروان بن الحكم وكانت أم خالد بن يزيد بن معاوية وهي ابنة هشام ابن عتبة فاراد مروان الخروج الى مصر فقال لخالد : اعرنى سلاحك فأعاره فلما رجع قال له خالد رُدّ عليَّ سلاحي فأبي عليه وكان مروان فحاشاً فقال له يا ابن الربوخ الرطبة فجاء خالد الى أمه فقال هذا ما صنعت بى سبّنى على رؤس الملأ وقال لي كيت وكيت قالت : اسكت فانى اكفيك أمره ، فجاء مروان فرقد عندها فأمرت جواريها فطرحن عليه الشوادكين — يعني الملاحف — ثم غططنه حتى قتلنه وخرجن يصحن : وا أمير المؤمنيناه فدعا عبد الله بامرأة أبيه ليقتلها فقالت ان الذى يبقى عليك من العار اعظم من قتل أبيك ، قال : وما ذاك ، قالت : يقول الناس ان أباك قتلته امرأة ، فأمسك عنها

محاسن مكر النساء

ذكروا ان الحجاج بن يوسف ارق ذات ليلة فبعث الى ابن القرّية فقال : انى أرقت فحدثنى حديثاً يقصر عليَّ طول ليلى وليكن من مكر النساء وفعالهن ، فقال : أصلح الله الأمير ذكروا ان رجلا يقال له عمرو بن عامر من أهل البصرة كان معروفا بالنسك والسخاء وكانت له زوجة يقال لها جميلة وله صديق من النسّاك فاستودعه عمرو ألف دينار وقال : ان حدثت بي حادثة ورأيت أهلى محتاجين فاعطهم هذا المال فعاش ما عاش ثم دُعي فأجاب فمكثت جميلة بعده حيناً ثم ساءت حالها وأمرت خادمتها يوماً

ببيع خاتمها لغداء يوم أو عشاء ليلة فبينا الخادمة تعرض الخاتم على البيع اذ لقيها الناسك صديق عمرو فقال : فلانة ، قالت : نعم ، قال : ما حاجتك ، فأخبرته بسوء الحال وما اضطرت اليه مولاتها من بيع خاتمها ، فهملت عيناه دموعا ثم قال : ان لعمرو قبلي ألف دينار فاعلمي بذلك صاحبتك ، فأقبلت الجارية ضاحكة مستبشرة وهي تقول : رزق حلال عاجل من كد مولاي الكريم الفاضل ، فلما سمعت مولاتها ذلك سألتها عن القصة فاخبرتها فخرت ساجدة وحمدت ربها وبعثت بالجارية الى الناسك فأقبل الناسك ومعه المال فلما دخل الدار كره أن يدفع المال الى أحد سواها فخرجت فلما نظر الى جمالها وكمالها أخذت مجامع قلبه وفارقه النهى وذهب عنه الحياء وأنشأ يقول

قدْ سَلَبْتِ الجِسم والقلبَ مَعاً ... وبَرَيتِ العَظمَ مِمَّا تَلْحَظِينْ

فأَرْدُدى قَلْبَ عَمِيدٍ وَأَقبلِى ... صِلَةَ الضَّعفينِ مِمَّا تَرْتَجِينَ

فأطرقت جميلة لقوله طويلا ثم قالت : ويحك ألست المعروف بالنسك المنسوب الى الورع ، قال : بلى ولكن نور وجهك سلّ جسمى فتداركيني بكلمة تقيمين بها أودي فهذا مقام اللائذ بك ، قالت أيها المرائى المخادع اخرج عني مذموما مدحورا فخرج عنها وقد هام قلبه واضحت جميلة تعمل الحيلة في استخراج حقها فأتت الملك ترفع اليه ظلامتها فلم تصل اليه فأتت الحاجب فشكت اليه فأعجب بها اعجابا شديداً وقال : ان لوجهك صورة ارفعها عن هذا ولا يجمل بمثلك الخصومة فهل لك فى ضعفي مالك في سترورفق ، فقالت سوأة لامرأة حرة تميل الى ريبة فانصرفت الى صاحب الشرطة فأنهت ظلامتها اليه فأعجب بها وقال : ان حُجّتك على الناسك لا تقبل إلّا بشاهدين عدلين وانا مشتر خصومتك ان انت نزلت عند مسرتى فانصرفت عنه الى القاضى فشكت اليه فأخذت بقلبه وكاد القاضى يجن اعجابا بها وقال يا قرة العين انه لا يزهد في أمثالك فهل لك فى مواصلتى وغناء الدهر فانصرفت وباتت تحتال فى استخراج حقها فبعثت الجارية الى نجار فعمل لها تابوتاً بثلاثة أبواب كل منهم مفرد ثم بعثت الجارية الى الحاجب أن يأتيها اذا أصبح والى صاحب الشرطة ان يأتيها ضحوة والى القاضى أن ياتيها اذا تعالى النهار والى

الناسك أن ياتيها اذا انتصف النهار فاتاها الحاجب فاقبلت عليه تحدثه فما فرغت من حديثها حتى قالت لها الجارية صاحب الشرطة بالباب فقالت للحاجب ليس في البيت ملجأ الا هذا التابوت فادخل أى بيت شئت منه فدخل الحاجب بيتا من التابوت فأقفلت عليه ودخل صاحب الشرطة فاقبلت جميلة عليه تضاحكه وتلاطفه فما كان باسرع من أن قالت الجارية القاضى بالباب فقال صاحب الشرطة اين أختبي فقالت لا ملجأ الّا هذا التابوت وفيه بيتان فادخل أيهما شئت فدخل فاقفلت عليه فلما دخل القاضي قالت مرحبا وأهلا وأقبلت عليه بالترحيب والتلطيف فبينا هي كذلك اذ قالت الجارية الناسك بالباب فقال القاضى ما ذا ترين في رده فقالت مالي الى رده سبيل قال فكيف الحيلة قالت انى مدخلتك هذا التابوت ومخاصمته فاشهد لي بما تسمع واحكم بيني وبينه بالحق قال نعم فدخل البيت الثالث فاقفلت عليه ودخل الناسك فقالت له مرحبا بالزائر الجاني كيف بدا لك فى زيارتنا قال شوقا الي رؤيتك وحنيناً الي قربك قالت فالمال ما تقول فيه اشهد الله على نفسك برده أتبع رأيك قال اللهم اني أشهدك انّ لجميلة عندى الف دينار وديعة زوجها فلما سمعت ذلك هتفت بجاريتها وخرجت مبادرة نحو باب الملك فانهت ظلامتها اليه فأرسل الملك الى الحاجب وصاحب الشرطة والقاضي فلم يقدر على واحد منهم فقعد لها وسألها البينة فقالت يشهد لي تابوت عندى فضحك الملك وقال يحتمل ذلك لجمالك فبعث بالعجلة فوضع التابوت فيها وحمل الى بين يدي الملك فقامت وضربت بيدها الى التابوت وقالت أعطي الله عهداً لتنطقن بالحق وتشهدن بما سمعت أو لاضرمنك ناراً فاذا ثلاثة أصوات من جوف التابوت تشهد على اقرار الناسك لجميلة بألف دينار فكبر ذلك على الملك فقالت جميلة لم أجد فى المملكة قوما أوفى ولا أقوم بالحق من هؤلاء الثلاثة فأشهدتهم على غريمي ثم فتحت التابوت وأخرجت الثلاثة نفر وسألها الملك عن قصتها فاخبرته وأخذت حقها من الناسك ، فقال الحجاج : لله درها ما أحسن ما احتالت لاستخراج حقها ،، قال وكان يعقوب بن يحي المدائنى ويحي الكاتب كاتب سهل بن رستم يتحدثان الي مهدية جارية سليمان بن الشاحر فقال يعقوب يوما ليحي انا اشتهي ان أرى بطن مهدية فقال يحي ماتجعل لي ان انا احتلت لك بحيلة حتى تراه قال ماشئت قال برذونك هذا

قال : نعم ، قال : فتوثق منه وأتى مهدية فقال لها كان لي برذون موافق فاره فنفق وأنت لو شئت لحملتني على برذون فاره ، قالت : انا افعل وأشتريه لك بما بلغ الثمن ، قال : أنت قادرة عليه بغير الثمن ، قالت : كيف ذلك ، فأخبرها بالقصة فقالت : قد حملك الله على البرذون واربحك النظر الى بطن حسن فاذا كان غداً فتعال انت ويعقوب فاجلسا فان سليمان يعبث بوصيفته فلانة كثيراً فاذا فعل ذلك وجئت انا فقل أنت يامهدية لو علمت ما صنع فلان لقتلته ، قال : نعم ، فلما جاءت مهدية قال لها ان أمر سليمان مع وصيفته اشنع مما تقدرينه ، فوثبت مستشيطة غضباً وقالت : مثلك يا ابن الساحر يفعل هذا مرة بعد أخرى وشقّت جيبها الى أن جاوزت أسفل البطن وهي قائمة فنظر الى بطنها فتأملناها ساعة وهي تشتم ابن الساحر فقام اليها يترضاها ويسكنها ويعقوب يقول وابرذوناه فأخذه منه يحيي ،، وعن المساور قال كان عندنا بالأهواز رجل متأهل وكانت له أرض بالبصرة وكان في السنة يأتيها مرة أو مرتين فتزوّج بها امرأة ليس لها إلّا عم في الدار وكان يكثر الانحدار بعد ذلك الى البصرة فانكرت الأهوازية حاله فدست من يعرف خبره ثم احتالت وبعثت من أورد خطاً لعمّ المرأة البصرية وسألت من كتب كتابا من عم البصرية الي زوجها على خطه بأن ابنة أخيه توفيت ويسأله القدوم لأخذ ماخلفت ودسّت الكتاب مع انسان شبيه بالملاّح فلما أتى بالكتاب خرج اليه فدفع الكتاب ولم يشك ان امرأته البصرية ماتت فقال لامرأته : اجعلي لي سفرة ، قالت : ولم ، قال : اريد الخروج الى البصرة ، قالت وكم هذه البصرة قد رابني أمرك وما أشك ان هنالك لك امرأة ، فأنكر ذلك فقالت ان كنت صادقا فاحلف بطلاق كل امرأة لك غيري ، فقال في نفسه تلك قد ماتت وليس عليّ ان احلف بطلاقها فارضي هذه فحلف لها بطلاق كل امرأة له سوى الأهوازية ، فقالت الأهوازية يا جارية هاتي السفرة فقد أغناه الله عن الخروج ، قال وما ذلك ، قالت قد طلقت الفاسقة وقصت عليه القصة فعرف مكرها وأقام

***

مساوى مكر النساء

وذكروا ،، ان لقمان بن عاد صاحب لبد خرج يجول فى قبائل العرب فنزل بحي من العماليق فبينا هو كذلك اذ ظعن القوم فظعن معهم فسمع بامرأة تقول لزوجها فلان لو حملت سفطي هذا حتى تجاوز به الثنيّة فان فيه من متاع النساء مالابد لهن منه ولعل البعير يقع فينكسر وذلك من لقمان بمنظر ومسمع فقال افعل فاحتمله على عاتقه فلما انحدر وجد بللا فى صدره فشمه فاذا هو ريح بول قد جاء من السفط الذي على رأسه ففتح السفط فاذا هو بغلام قد خرج منه يعدو ، فلما نظر لقمان قال يا احدى بنات طبق ــ وبنات الطبق أن تأتى الحية السلحفاة فتلتوي عليها فتبيض بيضة واحدة فتخرج منها حية شبرا او نحوه لا تضرب شيئاً الا أهلكته ــ فتبعه لقمان حتى لحقه فجاء به يحمله واجتمع الناس اليه وقالوا يا لقمان احكم فيما ترى فقال ردوا الغلام في السفط يكون له مثوى حتي يرى ويعلم ان العقاب فيما أتى وتحمله المرأة بفعلها حملوها ما حملت زوجها ثم شدوه عليها فان ذلك جزاء مثلها فعمدوا الى الغلام فشدوه فى السفط ثم شدوه فى عنق المرأة ثم تركوهما حتى ماتا ثم فارقهم لقمان فأتى قبيلة أخرى فنزل بهم فبينا هو كذلك اذ بصر بامرأة قد قامت عن بنات لها فسألت احداهن أين تذهبين قالت الى الخلاء ثم خرجت الى بيوت الحي فعارضها رجل فمضيا جميعا ولقمان ينظر فوقع الرجل عليها وقضى حاجته منها فقالت المرأة هل لك ان اتماوت على اهلى فانما هو ثلاثة ايام اكون في رجمي ثم تجيء فتستخرجني فتمتع فقال الرجل افعلي وكان اسمه الخليّ وزوج المرأة اسمه الشجي فقال لقمان ــ ويل للشجي من الخليّ ــ فذهبت مثلا فلم تلبث المرأة الا أياما حتى تماوتت على أهلها وكان الميت منهم اذا مات تجعل فوقه الحجارة ولم تكن اذ ذاك قبور فلما كان اليوم الثالث جاءها خليلها فأخرجها وانطلق بها الى منزله وتحوّل الحي من ذلك المكان وخافت المرأة أن تعرف فجزّت شعرها وتركت لنفسها جمة فبينا هم كذلك اذ خرج بنات المرأة فاذا هن بامرأة جالسة ذات جمة فقالت الصغرى أمي والله ، قالت الوسطى صدقت والله ، قالت المرأة

كذبتما ما أنا لكما بأم . قالت الكبرى صدقت والله لقد دفنّا أمنا غير ذات جمّة ما كان لأمنا إلّا لمّة . قالت الصغرى بل بك أنكرت أعلاها أما تعرفين أخراها فتعلّقت بها فقالت الأم صغراهن مُرّاهن فذهبت مثلا واجتمع الناس وجاء زوج المرأة فارتفعوا الى لقمان فقالوا احكم بيننا . فقال لقمان * عند جهينة الخبر اليقين *

فذهبت مثلا وكان يلقّب بجهينة فقال لقمان للمرأة أخبرك أم تخبريني . قالت بل قل . قال انك قلت لهذا انى متماوتة على أهلى فاذا دفنوني فى رجمي جئت فاستخرجتني وأنكر لهم فلا يعرفونني فتنعم ما بقينا . فاعترفت المرأة فقيل للقمان احكم بيننا . قال ارجموها كما رجمت نفسها . فحفر لها حفرة وألقوها فيها ورجموها وكانت أول مرجومة في العرب ثم ان زوجها تعلق بالحلى فقال يا لقمان هذا فرق بيني وبين أهلي . فقال لقمان لكل ذكر أنثى ولكل أول آخر فرّق بينك وبين أنثاك ونفرّق بين ذكره وبين أنثييه فقُطع ذكره فمات

محاسن الغيرة

روى انه اذا أُغير الرجل فى أهله أوفي بعض مناكحه أو مملوكته فلم يغر بعث الله جل اسمه اليه طيراً يقال له القرقفنّة حتى يسقط على عارضة بابه ثم يمهله أربعين صباحا يهتف به ان الله غيور يحب كل غيور فان هو تغير وأنكر ذلك والا طار حتى يسقط على رأسه فيخفق بجناحيه على عينيه ثم يطير عنه فينزع الله منه روح الايمان وتسميه الملائكة الديوث ،، وقال النبي صلى الله عليه وسلم باعدوا بين أنفاس الرجال والنساء فان كانت المعاينة واللقاء كان الداء الذى لا دواء له ،، وروى ان امرأة ذات عقل ورأى حملت من فاجر فقيل لها في ذلك فقالت قرب الوساد وطول السواد ، تريد قرب مضجعه منها وطول مسارّته اياها ،، وقال صلى الله عليه وسلم النساء حبائل الشيطان ،، وقال سعيد ابن مسلم لأن يرى حرمتي ألف رجل على حال تكشف وهي لا تراهم أحبّ إليّ من

ان ترى حرمتي رجلا مواجهة ،، وقيل لعقيل بن عُلّفة ألا تزوج بناتك ، فقال اجيعهن فلا يأشرن واعريهن فلا يظهرن ، فوافق احدى كلمتيه قول النبي صلى الله عليه وسلم : الصوم وِجاء السيئة ، والأخرى قول عمر بن الخطاب رضى الله عنه : استعينوا عليهن بالعرى ،، وغاية أموال الرجال وكسبهم وهمهم وما يملكون انما هو مصروف الى النساء فلو لم يكن الّا ما يعدّ لهن من الطيب والحلي والكساء والفرش والآنية كان في ذلك ما كفى ولو لم يكن الّا الاهتمام بالحفظ والحراسة وخوف العار من خيانتهن والجناية عليهن لكان في ذلك المؤونة العظيمة والمشقة الشديدة غير ان أولى الأشياء بالرجال حفظهن وحراستهن فليس شئ لهن أصلح من مباعدتهن عن الرجال وقمعهن بالعري والجوع ومن حق الملوك ان لا يرفع أحد من خاصتها وبطانتها رأسه الى حرمة لها صغرت أم كبرت فكم من فيل وطيء هامة عظيم وبطنه حتى بدت أمعاؤه وكم من شريف وعزيز قوم قد مزقته السباع ونهشته وكم من جارية كريمة على قومها عزيزة في أهلها قد أكلها حيتان البحر وطير الماء وكم من جمجمة كانت تصان وتعل بالمسك والبان قد ألقيت بالعراء وغُيبت جثتها في الثري بسبب الحرم والخدم والغلمان ولم يأت الشيطان أحداً قط من باب حتى يراه بحيث من يهوى مستقيم اللحم والأعضاء هو ابلغ من مكيدته وأحرى ان يرى فيه أُمنيّة من هذا الباب اذ كان من ألطف مكائده وأدق وساوسه وأجل تزاينه ،، وقيل لابنة الخُسّ لَمَ زنيت بعبدك ولم تزن بحرّ ، قالت طول السواد وقرب الوساد ،، وقيل لو أن أقبح الناس وجها وأنتنهم رائحة وأظهرهم فقراً وأسقطهم نفساً وأوضعهم حسباً قال لامرأة تمكن من كلامها ومكنته من سمعها : والله يا مولاتي لقد أسهرت ليلي وأرّقت عيني وشغلتني عن مهم أمري فما أعقل أهلا ولا ولدا ولو كانت أبرع الناس جمالاً وأكملهم كمالا وأملحهم ملاحة وان كانت عينه تدمع بذلك ثم كانت تكون مثل أم الدرداء او معاذة العدوية أو رابعة القيسية لمالت اليه وأحبته ،، ومنها قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه اضربوهن بالعرى فان النساء يخرجن الى الأعراس ويقمن في المناحات ويظهرن في الأعياد وحتى كثر خروجهن لم يعدُ بدّ من أن يرين من هو من شكلهن ولو كان بعلهن أتمّ حسناً وأحسن وجهاً والذي رأت أنقص حسناً ولكان ما لا تملكه أطرف عندها مما

تملكه ولكان ما لم تملكه أو تستكثر منه اشد لها اشتغالا واجتذابا ،، قال الشاعر

وَلِلْعَيْنِ مُلْهًى بِالنِّسَاءِ وَلَمْ يَقُدْ هَوَى النَّفْسِ شَيْءٌ كَاقْتِيَادِ الطَّرَائِفِ

وكانت الأكاسرة اذا امتحنت الخاصة من أصحابها وخف الواحد عنهم على قلب الملك وكان الرجل عالماً بالحكمة موضعاً للامانة في الدماء والفروج والأموال على ظاهره فيأمره ان يتحول الى منزله وان تفرغ اليه حجرة وان لا يتحول اليه بامرأة ولا جارية ولا حرمة ويقول له أريد بك الانس فى ليلي ونهاري ومتى كان معك بعض حرمك قطعك عني فاجعل منصرفك الي منزلك فى كل خمس ليال فاذا تحوّل الرجل أنس به وخلا معه وكان آخر من ينصرف من عنده فيتركه على هذه الحالة أشهراً ،، امتحن ابرويز رجلا من خاصته بهذه المحنة ثم دس اليه جارية من بعض جواريه ووجه معها اليه بألطاف وهدايا وأمرها ان لا تقعد عنده فى أول مرة فأتته بألطاف الملك وقامت بين يديه ولم تلبث أن انصرفت حتى اذا كانت المرة الثانية امرها ان تقعد هنيهة وان تبدي عن محاسنها حتى يتأملها ففعلت ولاحظها الرجل وتأملها وجعل الرجل يحد النظر اليها ويسر بمحادثتها ومن شأن النفس أن تطلب بعد ذلك الغرض من هذه المطايبة فلما أبدى ما عنده قالت اخاف أن يعثر علينا ولكن دعني حتى أدبّر فى هذا ما يتم به الأمر بيننا ثم انصرفت فأخبرت الملك بذلك وبكل شئ جرى بينهما فلما كانت المرة الثالثة أمرها أن تطيل القعود عنده وان تحدثه وان أرادها على الزيادة فى المحادثة اجابته اليه ففعلت ووجه اليه أخرى من خواص جواريه وثقاتهن بألطافه وهداياه فلما جاءت قال لها ما فعلت فلانة قالت اعتلّت فاربدّ لون الرجل ثم لم تطل القعود عنده كما فعلت الأولى ثم عاودته فقعدت أكثر من المقدار الأول وأبدت بعض محاسنها حتى تأملها وعاودته في المرة الثالثة وأطالت القعود والمضاحكة والمهازلة فدعاها الى ما فى تركيب النفس من الشهوة فقالت انا من الملك على خطاً يسيرة ومعه فى دار واحدة ولكن الملك يمضي بعد ثلاث الى بستانه الذي بموضع كذا فيقيم هناك فان أراك على الذهاب معه فاظهر انك عليل وتمارض فان خيرك بين الانصراف الي نسائك أو المقام ههنا فاختر المقام واخبره انك

لا تقدر على الحركة فان أجابك الى ذلك جئت من أول الليل فأكون معك الى آخره فسكن الرقيع الي قولها وانصرفت الجارية فأخبرت الملك بكل ما دار بينهما فلما كان في الوقت الذي وعدته ان يخرج الملك فيه دعاه الملك فقال للرسول أخبره اني عليل فلما جاءه الرسول وأخبره تبسم وقال هذا أول الشر فوجه اليه محفة يحمل فيها فأتاه وهو معصب فلما بصر به قال والمحفة الشر الثاني فبيّن العصابة فقال والعصابة الشر الثالث فلما دنا من الملك سجد فقال له متى حدثت بك هذه العلّة قال هذه الليلة قال فأي الأمرين أحب اليك الانصراف الى نسائك لتمريضك أم المقام ههنا لوقت رجوعي قال المقام ههنا ايها الملك أوفق لقلّة الحركة فتبسم ابرويز وقال حركتك ههنا ان تُركت أكثر من حركتك في منزلك ثم أمر له بعصا الزناة التي كان يرسم بها من زنى فأيقن الرجل بالشر وامر ان يكتب ما كان من أمره حرفا حرفا فيقرأ على الناس اذا حضروا وان ينفى الى أقصى مملكته وتجعل العصا في رأس رمح يكون معه حيث كان ليحذر من يعرفه منه فلما خرج الرجل من المدائن متوجها به نحو فارس أخذ مدية كانت مع بعض الموكّلين به فجبّ بها ذكره وقال من أطاع عضواً صغيراً من أعضائه افسد عليه جميع أعضائه فمات من ساعته ،، وفيما يذكر عن انو شروان انه اتهم رجلا من خاصته في بعض حرمه فلم يدر كيف يقتله لا هو وجد أمراً ظاهراً يحكم بمثله الحاكم فيسفك به دمه ولا قدر على كشف ذنبه لما في ذلك من الهون على الملك والمملكة ولا وجد عذراً لنفسه في قتله غيلة اذ لم يكن في شرائع دينهم ووراثة سلفهم فدعا الرجل بعد جنايته بسنة في خلوة فقال قد حزبني أمر من أسرار ملك الروم وبي حاجة الى علمها وما أجدني أسكن الى أحد سكوني اليك اذ حللت من قلبي المحل الذي أنت به وقد رأيت أن تحمل لي مالا الى هناك للتجارة وتدخل بلاد الروم فتقيم بها فاذا بعت ما معك حملت مما في بلادهم من تجاراتهم وأقبلت الي وفي خلال ذلك تصغى الى اخبارهم وتطّلع الى ما بنا الحاجة الي معرفته من أمورهم وأسرارهم فقال افعل أيها الملك وأرجو أن أبلغ في ذلك محبة الملك ورضاه فامر له بمال وتجهز الرجل وخرج بتجارته فاقام في بلاد الروم حتى باع واشترى وفهم من كلامهم ولغاتهم ما عرف به مخاطباتهم وبعض أسرار ملكهم

وانصرف الى انو شروان بذلك فاراه الايثار به وزاد فى بره ورده الي بلادهم وأمره بالمقام والتربص بتجارته ففعل حتى عرف واستفاض ذكره فلم تزل تلك حاله ست سنين حتى اذا كانت السنة السابعة أمر الملك أن تُصوّر صورة الرجل في جام من جاماته التي يشرب فيها وتجعل صورته بازاء صورة انوشروان ويجعل مخاطبا لأنوشروان ومشيراً عليه واليه ويدنى رأسه من رأس الملك فى تلك الصورة كأنه يسارّه ثم وهب ذلك الجام لبعض خدمه وقال ان الملوك يرغبون فى مثل هذا الجام فاذا أردت بيعه فادفعه الى فلان اذا خرج نحو بلاد الروم بتجارته وقل له يبيعه من الملك نفسه فانه ينفعك فان لم يمكنه بيعه من الملك باعه من وزيره أو بعض خاصته فجاء غلام الملك بالجام وقد وضع الرجل رجله في الركاب فسأله أن يبيع جامه من الملك وان يتخذ عنده بذلك يداً وكان الملك يعزّ ذلك الغلام وكان من خاصة غلمانه وصاحب شرابه فاجابه الي ذلك وأمر بدفع الجام الى صاحب خزانته وقال احفظه فاذا صرت الى باب الملك فليكن مما أعرضه عليه فلما صار الى باب الملك دفع صاحب الخزانة اليه الجام فعرضه علي الملك فيما عرض عليه فلما وقع الجام في يد الملك نظر اليه ونظر الى صورة انو شروان فيه والى صورة الرجل وتركيبه عضواً عضواً وجارحة جارحة فقال للرجل أخبرنى هل يصور مع صورة الملك رجل خسيس قال لا قال فهل تصور فى آنية الملك صورة لا أصل لها ولا علة قال لا قال فهل في دار الملك اثنان يتشابهان فى صورة واحدة حتي يكون هذا كأنه ذاك فى الصورة وكلاهما نديما الملك قال لا اعرفه قال له قم قائماً فقام فوجد صورته في الجام فقال له أدبر فأدبر فتأمل صورته فى الجام فوجدها بحكاية واحدة فضحك ولم يجسر الرجل ان يسأله عن سبب ضحكه اجلالا له واعظاماً فقال ملك الروم الشاة اعقل من الانسان اذ كانت تخفي مديتها وتدفنها وانما اهديت الينا مديتك بيدك فقال للرجل تغديت قال لا قال قربوا له طعاما قال ايها الملك انا عبد والعبد لا يأكل بحضرة الملك قال الملك انت عبد مادمت عند ملك الروم مطلعاً على أموره متتبعاً لأسراره ملك اذا قدمت بلاد فارس ونديم ملكها اطعموه فأطعم وسقي الخمر حتى اذا ثمل قال من سير ملوكنا ان لا نقتل الجاسوس الّا في اعلا موضع نقدر عليه ولا نقتله جائعاً ولا عطشانا

فامر به فاصعد الى سطح كان يشرف منه على كل من كان في المدينة اذا صعد فضربت عنقه هناك وألقيت جثته من ذلك السطح ونصب رأسه للناس فلما بلغ ذلك كسرى أمر صاحب الجرس أن يضرب باجراس الذهب ويمر على دور نساء الملك وجواريه ويقول كل نفس ذائقة الموت كل أحد اذا وجب عليه القتل ففي الأرض يقتل الّا من تعرّض لحرمة الملك فانه يقتل فى السماء فلم يدر أحد من أهل المملكة ما اراد به حتى مات

﴿ ومثله من أخبار العرب ﴾ ذكروا انه كان لطسم وجديس ملك يقال له عملیق ظلوم غشوم وكانت لا تزف جارية الى زوجها إلّا بدأوه بها فافترعها وردها الى بعلها ثم ان رجلا من جديس تزوج غفيرة بنت غفار عظيم جديس ورئيسها فلما ارادوا ان يهدوها اليه بدأوا بها عملیق فادخلوها عليه ومعها القيان يتغنين ويضربن بالدفوف ويقلن

إبْدِي بعِمْليقَ ومَعَهُ فارْكَبي ... وبادِري الصُّبحَ بأَمرٍ مُعْجِبِ

فسوفَ تَلْقَيْنَ الذِي لم تَطْلُبي ... ولمْ يَكُنْ مِنْ دونِهِ مِنْ مَذْهَبِ

فجعلت تقول وهى تزف

ما أَحَدٌ أَذَلُّ مِن جَدِيسِ ... أَهكَذَا يُفْعَلُ بالعَرُوسِ

يَرْضَى بهذَا يالَقَوْمِي حُرٌّ ... مِنْ بَعْدِ ما أَهْدَى وَسِيقَ المَهْرُ

لَأَنْ يُلاقِي المَرْءُ مَوْتَ نَفْسِهِ ... خَيْرٌ لهُ مِن فِعْلِ ذَا بِعِرْسِهِ

فلما دخلت عليه افترعها ثم خلّى سبيلها فخرجت ووقفت على اخيها الاسود بن غفار وهو قاعد في نادي قومه وقد رفعت ثوبها عن عورتها وانشأت تقول

أَيَصلُحُ ما يُؤْتي إلى فَتَياتِكُمْ ... وأَنتُمْ رِجالٌ كَثْرَةً عَدَدُ الرَّمْلِ

وتَرْضَوْنَ هذَا يالَقَوْمي لأُخْتِكُمْ ... عَشِيَّةَ زُفَّتْ في النِّساءِ الى البَعْلِ

فإِنْ أَنتمُ لمْ تَغضَبوا بعدَ هذِهِ ... فكونوا نِساءً فى المَنازِلِ والحَجْلِ

ودونكمُ طيبَ النّساء وإنّما ... خُلقتمْ جميعاً للتّزيّن والكُحلِ
فلوْ أنّنا كنّا رجالاً وكنتمُ ... نساءً لكُنّا لا نُقيمُ على ذَحلِ
فقُبْحاً لبَعلٍ ليسَ فيهِ حميّةٌ ... ويَختالُ يَمْشي بيننا مشيةَ النّحلِ
فموتوا كراماً أوْ أصيبوا عدُوَّكمْ ... بدَاهيةٍ تُوري ضِراماً من الجزْلِ
وإلاّ فخلّوا داركمْ وترَحّلوا ... إلى بلدٍ قفرٍ خلاءٍ منَ الأهلِ
ولا تخرُجوا للحرْبِ يا قوْمِ إنّها ... تقُومُ بأقوامٍ شِدَادٍ على رِجلِ
فيَهلِكُ فيها كلُّ وَغْدٍ مُوَاكِلٍ ... ويَسلَمُ فيها ذُو الطّعانِ وذو القتْلِ

فلما سمعت جديس شعرها أنفت انفاً شديدا وأخذتهم الحمية فتآمروا بينهم وعزموا على اغتيال الملك وجنوده فقالوا ان نحن بادهناهم بالحرب لم نقوَ عليهم لكثرة جندهم وأنصارهم فاتفقوا على ذلك ثم ان الأسود اتى الملك فقال : اني أحب أن تجعل غداءك عندى أنت وجنودك . فقال عملیق ان عدد القوم كثير واحسب ان البيوت لا تسعهم فقال الأسود : فنخرج لهم الطعام الى بطن الوادى فقال لقومه اذا اشتغل القوم بالأكل فسلوا سيوفكم واعملوا على ان تحملوا حملة رجل واحد واقتلوهم عن آخرهم وهيأ الأسود ما احتاج اليه من الطعام وجاء الملك فلما أكب القوم على الأكل بادرت جديس الى سيوفهم ثم حملت على الملك وعلى جنوده والأسود يرتجز ويقول

ياصُبْحَةً يا صُبْحَةَ العَرُوسِ ... حتّى تَمَشّتْ بدَمٍ جَميسِ
ياطَسْمَ مالقيتِ منْ جَديسِ ... هلَكْتِ ياطَسْمَ فهيسي هيسي

فقتلوه وجنوده جميعاً .. ومثله الفطيون ملك تهامة والحجاز فانه سلك مسلك عملیق فى ملك طسم وجديس فى أمر النساء فأمر أن لا تزف من اليهود فى مملكته امرأة إلا بدأوه بها فلبث على ذلك عدة أحوال حتى زُوّجت امرأة من اليهود من ابن عم لها وكانت ذات جمال رائع وكانت أخت مالك بن عجلان من الرضاعة فلما أرادوا أن يهدوها

الى زوجها خرجت الى نادى الأوس والخزرج رافعة ثوبها الى سرتها فقام اليها مالك بن العجلان فقال ويحك وما دهاك فقالت ومايكون من الداهية أعظم من ان ينطلق بى الى غير بعلى بعد ساعة فأنف من ذلك انفا شديداً فدعا ببزة امرأة فلبسها فلما انطلقوا بالمرأة الى القطيون صار كواحدة من نسائها اللواتى ينطلقن بها متشبها بامرأة وقد أعد سكينا فى خفه فلما دخلت المرأة على القطيون مال مالك الي خزانة في ذلك البيت فدخلها فلما خرج النساء ودخلت المرأة قام اليها ليفترعها فخرج اليه مالك بالسكين فوجأه فقتله ثم قال لليهود دونكم جنوده فاقتلوهم فاجتمعت عليهم فقتلوهم عن آخرهم

﴿ ومنه أخبار وأمثال ﴾ ذكروا أن اول من قال العجب كل العجب بين جمادى ورجب عاصم بن المقشعر الضبي وذلك ان الخنيفس بن خشرم كان اغير اهل زمانه وأشجعهم وكان لعاصم أخ يقال له عبيدة عزيز فى قومه فهوي امرأة كانت تأتى الخنيفس فبلغ الخنيفس ذلك فتواعد عبيدة وركب الخنيفس فرسه وأخذ رمحه وانطلق يتربص عبيدة حتى وقف على ممرّه فاقبل عبيدة وقد قضى من المرأة وطراً وهو يقول

ألا إنَّ الخُنَيْفِسَ فاعلَمُوهُ ... كما سمَّاهُ والدُه لعينُ
بَهيمُ اللّونِ مُحتَقَرٌ ضئيلٌ ... لَئيماتٌ خلائقُهُ ضَنينُ
أيُوعِدُنى الخُنَيْفِسُ مِنْ بَعيدٍ ... ولمَّا يَلْقَ مأْبَضَهُ الوَتينُ
لَهَوْتُ بجارَتيهِ وحادَ عنّي ... ويَزْعُمُ أنَّهُ أَنِفٌ شَفُونُ

فعارضه الخنيفس وهو يقول

أيا ابنَ المُقْشَعِرِّ لقيتَ ليثاً ... لهُ في جوْفِ أيْكتهِ عرينُ
تقولُ لهُ صَدَدْتَ حِذارَ حينٍ ... وأنَّكَ نَشْوُ أبْطالٍ مُبينُ
وأنَّكَ قدْ لَهَوْتَ بجارَتينا ... فهاكَ عُبَيدَ لاقاكَ القَرينُ
ستَعلَمُ أيُّنا أحْمي ذِمارًا ... إذا قَصُرَتْ شمالُكَ واليَمينُ

لَهوْتَ بها لقـدْ أُبدِلتَ قبرًا وباكِيـةً عليكَ لها رَنينُ

فقال عبيدة أذكرك الله وحرمة خشرم فقال والله لاقتلنك فقتله فلما بلغ أخاه عاصما خرج اليه ولبس أطمارا وركب فرسه وكان فى آخر يوم من جمادى فأقبل يبادر دخول رجب لانهم كانوا لايقتلون في رجب أحداً فانطلق حتى وقف بباب خنيفس ليلا وقال أجب المرهوق قال وما ذاك قال العجب كل العجب بين جمادى ورجب واني رجل من ضبة غصب أخ لي امرأة فخرج يستنقذها فقتل وقد عجزت عن قاتله فخرج الخنيفس مغضبا وأخذ رمحه وركب وانطلق معه فلما نحى به عن قومه دنا منه فقنعه بالسيف فابان رأسه ،، ويقال ان أول من قال سبق السيف العذل ضمضم بن عمرو اللخمي كان يهوى امرأة فطلبها بكل حيلة فأبت عليه وطلبها عزيز بن عبيد بن ضمضمة فآتته وتأبّت على ضمضم وكان ضمضم من أشد قومه بأسا فاغتاظ لذلك وانطلق ليلة وهو متقلد سيفه حتى صار بمكان يراهما اذا اجتمعا ولا يريانه فلما نام الناس وطال هدو ضمضم اذا العزيز قد أقبل على فرسه وهو يقول

أُمامَ تُوَلّيني وتأْبَى بنفسِها علي ضَمْضَمٍ تَعساً ورَغماً لضَمْضَمِ

وضمضم يسمع فنزل وربط فرسه ومشي الى ناحية خبائها فصدح صدوح الهام وكان آية ما بينهما فخرجت اليه فعانقها وضمضم ينظر ثم واقعها فلما رآها مشى اليهما بالسيف وهو يقول

ستعلمُ أني لستُ أعشقُ مُبغِضاً فكانَ بنا عنها وعنكَ عَزَاءُ

وقتله فعلم القوم بضمضم فأخذوه فلما أصبح أبرز الى النادي ليقتل فجعلوا يلومونه على قتله ابن عمه فقال : سبق السيف العذل ،، ويقال : ان اول من قال خير قليل وفضحت نفسى فائرة امرأة مرة الأسدى وكانت من اجمل النساء في زمانها وكان زوجها غاب عنها اعواما فهويت عبداً له حبشياً يرعى ابلها فامرتدان يحضر مضجعها وكان زوجها منصرفا قد نزل تلك الليلة منها على مسيرة يوم فبينا هو يطعم ومعه اصحابه اذ نعق غراب

فأخبره أن امرأته لم تعهر قط ولا تعهر الا تلك الليلة فركب فرسه ومر مسرعا وهو يرجوان هو منعها تلك الليلة أمنها فيما بقي فانتهى اليها حين قام العبد عنها وندمت وهي تقول خير قليل وفضحت نفسي فسمعها زوجها وهو يرعد لما به من الغيظ فقلت له : ما يرعدك فقال يعلمها انه قد علم : خير قليل وفضحت نفسي فشهقت شهقة خرت ميتة فقتل زوجها العبد وجعل يقول

لَعَمْرُكِ ما تعتادُني مِنكِ لَوْعَةٌ ولا أنا مِنْ وَجدٍ بِذِكراكِ أَسْهَدُ

قيل ،، وكانت هند بنت عتبة تحت الفاكه بن المغيرة المخزومي وكان الفاكه من فتيان قريش وكان له بيت ضيافة يغشاه الناس من غير اذن فخلا ذلك البيت يوما فضجع الفاكه وهند فيه فخرج الفاكه لبعض حوائجه وأقبل رجل ممن كان يغشى ذلك البيت فولجه فلما رأى المرأة ولى هاربا فرآه الفاكه وهو خارج من البيت فاقبل الى هند فضربها برجله وقال من هذا الرجل الذي خرج من عندك قالت ما رأيت أحدا ولا انتبهت حتى نهتني فقال لها الحقي باهلك فتكلم الناس فيها فقال لها أبوها يابنية ان الناس قد اكثروا فيك فاصدقيني فان كان الرجل فى قوله صادقا سببت له من يقتله فتنقطع عنك المقالة وان كان كاذبا حاكمته الى بعض كهان اليمن فحلفت له بما يحلفون به في الجاهلية انه لكاذب فقال عتبة للفاكه يا هذا انك قد رميت ابنتي بأمر عظيم فحاكمني الى بعض كهان اليمن فخرج عتبة فى جماعة من بني عبد مناف وخرج فاكه فى جماعة من بني مخزوم واخرجوا معهم هنداً ونسوة معها فلما شارفوا البلاد قالوا غداً نرد على الكاهن فتغير لون هند فقال لها ابوها انى أرى ما بك فهلاّ كان هذا قبل خروجنا قالت لا والله يا ابتاه ما ذلك لمكروه ولكن سنأتى بشراً يخطيء ويصيب فلا نأمن أن يسومني مما يكون فيه سبة علىّ باقي عمري قال انى سوف اختبره قبل أن ينظر في أمرك فأخذ حبة من حنطة فأدخلها فى احليل فرسه وأوكى عليها بسير فلما دخلوا على الكاهن قال له عتبة ما كان مني في طريقي قال ثمره فى كمره قال احتاج الى أبين من هذا قال حبة بر فى احليل مهر قال صدقت فما بال حال هؤلاء النسوة فجعل يدنو من احداهن فيضرب بمنكبها حتى أتى

الى هند فضرب بمنكبها وقال انهضي غير رسحاء ولا فاحشة ولتلدين ملكا يقال له معاوية فوثب اليها الفاكه فأخذ بيدها فنزعت يدها من يده وقالت : اليك عني والله لأجهدن ان يكون ذلك من غيرك : فتزوجها أبو سفيان بن حرب فجاءت بمعاوية ،، قيل وكان عمر ابن الخطاب رضى الله عنه يعس بنفسه فسمع امرأة تقول

ألاَ سبيلٌ إلى خمرٍ فأشربها ... أم هل سبيلٌ إلى نصر بن حجاجِ

إلى فتىً ماجدِ الأخلاقِ ذي كرمٍ ... سهلِ المُحيَّا كريمٍ غير ملجاجِ

فقال عمر أما ما دام عمر إماما فلا ، فلما أصبح قال عليّ بنصر بن الحجاج فأتي به فاذا هو رجل جميل فقال اخرج من المدينة ، قال : ولم وما ذنبي ، قال : اخرج فوالله ما تساكنني ، فخرج حتى أتى البصرة وكتب إلى عمر رضي الله عنه

لعمرِي لئن سيَّرتني وحرمتني ... ولم آتِ إثماً إنَّ دا لحرامُ

وما ليَ ذنبٌ غيرَ ظنٍّ ظننتهُ ... وبعضُ تصاديقِ الظُّنونِ إثامُ

وإنْ غنَّتِ الذّلفاءُ يوماً بمنيَّةٍ ... فبعضُ أمانيّ النّساءِ غرامُ

فظُنَّ بيَ الظَّنَّ الذي لو أتيتهُ ... لما كان لي في الصّالحين مقامُ

ويمنعُني مما تمنّتْ حفيظتي ... وآباءُ صدقٍ سالفونَ كرامُ

ويمنعُها مما تمنّتْ صلاتُها ... وبيتٌ لها في قومِها وصيامُ

فهذانِ حالانا فهلْ أنتَ مُرْجعي ... فقدْ جُبَّ مني غاربٌ وسنامُ

قال ،، فردّه عمر بعد ذلك لما وصف من عفته ،، ويروي أيضا ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يعس بالمدينة ذات ليلة إذ سمع امرأة تهتف وتقول

تطاولَ هذا الليلُ واسودَّ جانبُه ... وأرّقني إذ لا خليلٌ ألاعبُه

فوالله لولا اللهُ لا ربَّ غيرُهُ ... لزُعزعَ من هذا السّريرِ جوانبُه

ولكنَّ ربي والحياءَ يكفُّني وأكرمُ بعلى أن توطَّا مراكبُه

قال ،، فرجع عمر الى منزله فسأل عن المرأة فاذا زوجها غائب فسأل ابنته حفصة كم تصبر المرأة عن الرجل فسكتت واستحيت واطرقت فقال أربعة أشهر خمسة أشهر ستة أشهر فرفعت طرفها فعلم أنها لاتصبر أكثر من ستة أشهر فكتب إلى صاحب الجيش ان يقفل من الغزو الرجال إذا أتت ستة أشهر إلى أهاليهم ،، وغزا رجل من الانصار وله جار يهودى فأتى امرأته واستلقى ذات ليلة على ظهره وانشأ يقول

وأشعثَ غرَّهُ الإسلامُ منّي خلوتُ بعرسهِ ليلَ التَّمامِ

أبيتُ على ترائبها ويُضحي على جرْداءَ لاحقةِ الحزامِ

فسمع ذلك جار له فضربه بالسيف حتى قطّعه فبلغ ذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال : انشد الله رجلا كان عنده من هذا علم الا قام ، فقام الرجل فحدثه، فقال: أحسنت أحسنت ، وتمام الابيات

كأنَّ مجامعَ الرَّبلاتِ منها فِئامٌ قدْ جُمعْنَ إلى فِئامِ

﴿ ومنه أخبار الشعراء ﴾ قيل ،، لما خرج امرؤ القيس بن حجر إلى قيصر ملك الروم ليسأله النصرة على بنى أسد لقتلهم اباه حجر بن الحارث راسل بنت قيصر وأراد أن يختدعها عن نفسها وبلغ ذلك قيصر وأراد أن يقتله فتذمم من ذلك وأمر بقميص فغمس فى السم وقال لامرئ القيس إلبس هذا القميص فانى أحببت أن أوثرك به على نفسى لحسنه وبهائه فعمل السم فى جسمه وكثرت فيه القروح فمات منها فسمي ذا القروح وقد كان قيل لقيصر قبل ذلك انه هجاه فعندها يقول

ظلمتُ لهُ نفسي بأنْ جئتُ راغباً إليهِ وقد سيَّرتُ فيهِ القوافيا

فإنْ أكُ مظلوماً فقدماً ظلمتُهُ وبالصّاعِ يُجزَى مثلَ ما قدْ جزانيا

قيل ،، وكان النابغة يشبب بالمتجردة امرأة النعمان بن المنذر وكانت أكمل أهل عصرها جمالا فبلغ ذلك النعمان فهم بقتل النابغة فهرب منه وسار حتى أتى الشام والملك

بها جبلة بن الايهم الغساني فنزل عليه وأقام عنده وكتب إلى النعمان

حَلَفْتُ ولمْ أَتْرُكْ لنفسِكَ رِيبَةً ... وليسَ وراءَ اللهِ للمَرْءِ مَذْهَبُ

لئنْ كنتَ قدْ بُلِّغْتَ عنّي خيانةً ... لَمُبْلِغُكَ الواشي أَغَشُّ وأَكذَبُ

قيل ،، وكانت امرأة شداد أبي عنترة ذكرت له أن عنترة أرادها عن نفسها فأخذه أبوه فضربه ضرب التلف فقامت المرأة فألقت نفسها عليه لما رأت ما به من الجراحات وبكته وكان اسمها سُمَيّة فقال عنترة

أَمِنْ سُمَيَّةَ دَمعُ العينِ مَذْرُوفُ ... لوكانَ ذامنكِ قبلَ اليومِ معرُوفُ

كأَنَّها يومَ صَدَّتْ ما تُكلِّمُنا ... ظبيٌ بِعُسْفانَ ساجي العينِ مَطرُوف

قامَتْ تُجلِّلُني لَمَّا هَوَى قبلي ... كأَنَّها صَنَمٌ يعتادُ معكُوفُ

المالُ مالُكُمُ والعبْدُ عبْدُكُمُ ... فهلْ عذابُكِ عنّي اليومَ مَصرُوفُ

قيل ،، ولما أنشد عبد بني الحسحاس عمر بن الخطاب رضى الله عنه قصيدته التى يقول فيها

تُوَسِّدُنى كَفًّا وتَمْضي بِمِعْصَمٍ ... عليَّ وتَنحو رِجْلَها مِنْ وَرائيا

فما زالَ بُرْدِي طَيِّبًا مِنْ ثيابِها ... إلي الحولِ حتّى أَنهجَ البُرْدُ بالِيا

وهَبَّتْ لنا رِيحُ الشَّمالِ بِقُوَّةٍ ... ولا بُرْدَ إلاَّ دِرْعُها ورِدائيا

أَميلُ بها مَيلَ الرَّدِيفِ وأَتَّقي ... بها الرِّيحَ والشَّفَّانَ مِنْ عن شَمالِيا

رأَتْ قَتَباً رَثًّا وأَخلاقَ شَمْلَةٍ ... وأَسوَدَ مِمَّا يَلبسُ النَّاسُ عارِيا

تَجَمَّعْنَ شَتَّى مِنْ ثلاثٍ وأَرْبَعٍ ... وواحدَةٍ حتى كَمَلْنَ ثمانيا

سُلَيمَى وسَلْمَى والرَّبابُ وتِرْبُها ... وأَرْوَى وريَّا والمُنى وقَطاميا

وأَقبلْنَ مِنْ أَقصَى البلادِ يَعُدْنني ... أَلا إنَّما بعضُ العوائدِ دائيا

قال عمر رضى الله عنه أنت مقتول فلما قال

ولقدْ تحدَّرَ مِنْ كريمةِ معشرٍ عرقٌ على متْنِ الفراشِ وطيبُ

وجدوه شاربا ثملا فعرضوا عليه نسوة حتى مرت به التى يطلبونها فاهوى اليها فقتلوه

مساوى شرة الخمرة والعقوبة عليها

حكي عن سليمان بن عبد الملك أنه كان فى بعض أسفاره فسمر معه قوم فلما تفرقوا عنه دعا بوضوء فجاءت به جارية فبينا هي تصب الماء على يده اذ استمدها وأشار اليها مرتين أو ثلاثا فلم تصب عليه فانكر ذلك ورفع رأسه فاذا هى مصغية بسمعها مائلة بجسدها الي صوت غناء من ناحية العسكر فأمرها فتنحت فسمع الصوت فاذا رجل يغنى فانصت له حتي فهم ماغنى فدعا بجارية غيرها فتوضأ فلما أصبح أذن للناس فاجرى ذكر الغناء فلم يزل يخوض فيه حتي ظن القوم انه يشتهيه فأفاضوا فيه وذكروا ماجاء فى الغناء والترخيل لمن سمعه وذكروا من كان يسمعه من سروات الناس فقال هل بقى أحد يسمع منه فقال رجل من القوم عندي رجلان من أهل الابلة محكمان قال فأين منزلك من العسكر فأومأ الى ناحية الغناء فقال سليمان ابعث اليهما ففعل فوجد الرسول احدهما وأقبل به وكان اسمه سمير فسأله عن الغناء وكيف هو فيه قال مُحكم قال متي عهدك به قال البارحة قال وفى أى النواحي كنت فذكر الناحية التي سمع منها الصوت قال وما اسم صاحبك قال سنان قال فأقبل سليمان على القوم فقال هدر الفحل فضبعت الناقة وانبّ التيس فشكرت الشاة وهدل الحمام فزافت الحمامة وغنى الرجل فطربت المرأة ثم أمر به فخصى وسأل عن الغناء أين أصله قالوا بالمدينة وهم المخنثون فكتب الي عامله ان اخص من قبلك من المخنثين ، وحدث الأصمعى ان الشعر الذي سمعه سليمان يتغنى به هو

مَحْجُوبةٌ سمعتْ صوتي فأرَّقها مِنْ آخرِ الليلِ لمّا بلّها السَّحَرُ

تُدْنِي على الخَدِّ منها من مُعَصْفَرَةٍ ... والحَلْيُ بادٍ على لَبَّاتِها خَصِرُ
في ليلةِ البَدْرِ ما يَدْرِي مُضاجِعُها ... أَوَجهُها عندَهُ أَبْهَى أَمِ القَمَرُ
لم يَمْنَعِ الصوتَ أبوابٌ ولا حَرَسٌ ... قَدَمعُها لِطُرُوقِ اللَّحْنِ يَنْحَدِرُ
لو تَستطيعُ مَشَتْ نَحوِي على قَدَمٍ ... تَكادُ مِن رِقَّةٍ في المَشْيِ تَنفَطِرُ

ثم دخل سليمان مضرب الخدم فوجد جارية على هذه الصفة قاعدة تبكي فوجه إلى سنان فأحضره ووجهت الجارية رسولا الى سنان يحذره وجعلت للرسول عشرة آلاف درهم ان سبق رسول سليمان فلما حضر أنشأ يقول

إستَبْقِنِي إلى الصَّباحِ أَعتذِرْ ... إنَّ لِساني بالشَّرابِ مُنكَسِرْ
فأَرْسِلِ المعرُوفَ في قومٍ نُكُرْ

فامر به فخصي وكان بعد ذلك يسمي الخصي ،، وعن عليّ بن يقطين قال كنت عند موسى الهادي ذات ليلة مع جماعة من أصحابه اذ أتاه خادم فسارّه بشيء فنهض سريعا فقال لا تبرحوا فمضى فأبطأ ثم جاء وهو يتنفس ساعة حتى استراح ومعه خادم يحمل طبقا مغطي بمنديل فقام بين يده فأقبل يرعد ويحبنا من ذلك ثم جلس وقال للخادم ضع مامعك فوضع الطبق وقال ارفع المنديل فرفعه فاذا على الطبق رأسا جاريتين لم أر والله أحسن من وجهيهما قط ولا من شعورهما فاذا على رأسيهما الجوهر منظوم على الشعر واذا رائحة طيبة تفوح فاعظمنا ذلك فقال أتدرون ماشأنهما قلنا : لا ، قال : بلغني انهما تحابّا فوكّلت هذا الخادم بهما ليأتي إلي اخبارهما فجاءني وأخبرني انهما قد اجتمعتا فجئت فوجدتهما كذلك في لحاف فقتلتهما ثم قال يا غلام ارفع ورجع في حديثه كأنه لم يصنع شيئاً ،، وحدثنا ابراهيم بن اسماعيل عن ابن القدّاح قال : كانت للربيع جارية يقال لها أمة العزيز فأهداها للمهديّ فلما رأى حسنها وجمالها وهيأتها قال : هذه لموسى أصلح فوهبها له فكانت أحب الخلق اليه وولدت له بنيه الأكابر ثم ان بعض اعداء الربيع

قال لموسى انه سمع الربيع يقول : ما وضعت بيني وبين الأرض مثل أمة العزيز فغار موسى فدعا الربيع فتغدّى معه وناوله كأسا فيه شراب فقال الربيع فعلمت أن نفسي فيها واني ان رددتها من يدى ضرب عنقي فشربتها وانصرفت فجمع ولده وقال انى ميت فقال الفضل ابنه ولم تقول ذلك جعلت فداك قال ان موسى سقانى شربة فانا أجد عملها في بدنى ثم اوصي بماله ومات في يومه ،، قيل وطرب الرشيد الى الغناء فخرج متنكراً ومعه خادمه مسرور حتي انتهى الى باب اسحاق بن ابراهيم الموصلي فقال يامسرور إقرع الباب فخرج اسحاق فلما رأى الرشيد انكب على رجله فقبلها ثم قال ان رأى أمير المؤمنين ان يدخل منزل عبده فنزل الرشيد فدخل فرأي أثر الدعوة فقال يا اسحاق انى أرى موضع الشرب من كان عندك قال ما كان عنـدي يا أمير المؤمنين سوى جاريتيّ كنت أطارحهما قال فهما حاضرتان قال نعم قال فأحضرهما فدعا الجاريتين فخرجتا مع احداهما عود حتى جلستا فأمر الرشيد صاحبة العود ان تغنى فغنت

بُنِيَ الحُبُّ على الجورِ فلو أَنصفَ المعشوقُ فيهِ لَسَمُجْ
ليس يُستحسَنُ في وصفِ الهوى عاشقٌ يُكْثِرُ تأليفَ الحُجَجْ
فقليلُ الحُبِّ صِرْفاً خالِصاً هو خيرٌ مِنْ كثيرٍ قد مُزِجْ

فقال الرشيد يا اسحاق لمن الشعر والغناء فيه قال لاعلم لى به يا أمير المؤمنين فنكس رأسه ساعة ينكت فى الارض ثم رفع رأسه وأخذ العود من حجر هذه فوضعه فى حجر الاخري ثم قال لها غنى فغنت

إنْ يُمِسْ حبلُكَ بعدَ طولِ تواصُلٍ خَلَقاً وأَصْبَحَ بيتُكُم مَهْجُورًا
فلقدْ أَراني والجديدُ إلي بلًى زَمَناً بوَصْلِكَ راضياً مَسْرُورًا
كنتَ الهوَى واعَزَّ مَنْ وَطِيَ الحَصى عندِي وكنتُ بذاكَ منكَ جديرًا

فقال يا اسحاق لمن الشعر والغناء فيه قال لا علم لى ياسيدى فرد المسألة على الجارية فقالت لستي قال ومن ستّك قالت علية أخت أمير المؤمنين فنكس رأسه ساعة ثم وثب

وقال لمسرور خامه امض بنا الى منزل علية فلما وقف بالباب قال استأذن يامسرور فخرجت جارية فلما رأت الخليفة رجعت تبادر تعلم ستها فخرجت تستقبله وتفديه فقال ياعلية هل عندك ماناً كل قالت نعم ياسيدي قال وما تشرب قالت نعم فدخل وجلس فقدمت اليه الطعام فاكل حارا وباردا ورطبا ويابسا ثم رفع الطعام ووضع الشراب والطيب وانواع الرياحين ودعت جواريها وكان عندها ثلاثون جارية يغنين فالبستهن أنواع الثياب وصفتهن في الايوان وتناول الرشيد الشراب فامر الجواري يغنين ثم سقى اخته حتى أخذ الشراب منها واحمرت وجنتاها وفترت اجفانها وكانت من أجلّ النساء فضرب الرشيد الى حجر بعض الجواري في أخذ العود وقال يا علية بحياتي غنى

بُنِيَ الحُبُّ علي الجَورِ فلو

فعلمت انها داهية فبكت فصاح الرشيد فخرج الجواري وبقي هو وهي فدفعها وأخذ وسادة فجعلها على وجهها وجلس عليها فاضطربت اضطرابا شديداً ثم بردت فنحي الوسادة عنها وقد قضت نحبها فخرج وقال للخادم اذا كان غداً فادخل وعزني وركب متوجهاً الى قصره فلما كان الغد عزاه مسرور فبكى فقال

قبرٌ عزيزٌ علينا ... لو أنَّ من فيهِ يُفْدَي

أسكنتُ قُرَّةَ عيني ... ومُهْجَةَ النَّفْسِ لَحْدا

ما إنْ أرى لي عليها ... مِنَ التوجُّعِ بُدَّا

ومنه ماحكي عن البهائم قال شيخ من بني قشير كنا في نتاج فامتنع فرس من حجرة فشددنا عينه فنزا عليها فلما فرغ فتحنا العصابة فرأى الحجرة وكانت أمه فعمد الي ذكره بأسنانه فقطعه .. ومنه في خفة الغيرة قال سليمان بن داود الهاشمي لابنه لاتكثر الغيرة على اهلك فترمى بالشر من اجلك وان كانت بريئة ولا تكثر الضحك فيستخفك فؤاد الرجل الحليم وعليك بخشية الله فانها غلبت كل شيء ، وقال عبد الله بن جعفر لابنته : اياك والغيرة فانها مفتاح الطلاق واياك وكثرة العتب فانه يورث البغضاء وعليك بالكحل

فانه أزين الزينة وأطيب الطيب الماء ،، قيل وكان كسرى ابرويز يتعشق امرأة رجل كان من مرازبته يقال له البارجان وكانت تأتيه سراً فبلغ زوجها ذلك فامسك عن امرأته واجتنبها ودخل الى كسرى ذات يوم فقال له كسرى بلغني ان لك عين ماء عذبة وانك قد اجتنبتها فلا تقربها ، فقطن فقال له : ايها الملك بلغني ان الأسد ينتاب تلك العين فاجتنبتها خوفا منه فأعجب كسري بمقالته وامر ان يتخذله تاج لا قيمة له ثم دخل كسري دار نسائه فقاسمهن نصف حليهن فاجتمع من الجوهر ما لا يحصي فبعث به الى امرأة البارجان بالقادسية ووقع ذلك الجوهر الى السائب بن الأقرع وكان على المقسم فباعه وجعل للمسلمين بكتاب عمر بن الخطاب رضى الله عنه ،، وقال بعضهم كنت أغار على امرأتي فأشرفت عليّ يوما وانا مع جارية لي فلقيت منها أذاً حتي حلفت أن ابيع الجارية فخرجت اريد شراء حوائج لي ومعي الجارية فأتيت دكان خلاّل لشرى الخل فوجدته خاليا فقلت له ياهذا تأذن لي فى ملامسة جاريتي هذه في دكانك فانى اريد بيعها قال نعم جعلت فداك ادخل حيث شئت فدخلت فاصبت من الجارية فلما خرجت اذا الخلال قد كمن ناحية وهو فى قميص قد أنعظ فقال فرغت قلت نعم قال بسم الله اتأذن لي جعلت فداك قلت ويلك ماتريد قال اقضي وطرى منها قلت يا ابن الفاعلة حرمتي قال لا يضرك شيئاً فانى اسرع ثم وثب كأنه السبع فضاربته حتى تخلصت الجارية بعد كل جهد ،، قال ودخل رجل من بني زهرة من اهل المدينة على قينة فسمع غناءها عند مولاها فخرج مولاها في حاجة ثم رجع فاذا جاريته علي بطن الزهري فقامت مذعورة فقعدت تبكي فقال ما يبكيك قالت لأنك لاتقبل لأجله عذراً قال يازانية لو رأيتك على قفاك قلت صريع مغلوب ولو رأيتك على وجهك لقلت وعاء مكبوب انما رأيتك فارساً مصلوبا ،، وحكى عن ثمامة انه قال للمهديّ ان النساء شُقِقن شقا وان هشيمة نُقبت نقباً وكانت هشيمة امرأة ثمامة فسأله المهديّ أن ينزل عنها ففعل وأقام المهدى حتى انقضت عدّتها ثم تزوجها وبنى بها ثم طلّقها وخرج الى بيت المقدس فلما انقضت عدتها راجعها زوجها وقال ابو طاهر أنشدني بعض الشعراء يهجو بني القعقاع

بني القعقاع أكرمكم لئيم وأعظم مجدكم ركب حليق
وأنتم في نسائكم اتساع وفي أخلاقكم نكد وضيق

وعن عبد الله بن ياسين قال : كان في المهدي غزل وشدة حب للخلوة بالنساء فباغه عن ابنة لابي عبيد الله كاتبه جمال فقال للخيزران : استزيريها ، فزارتها وجاءت اليها فقالت لها : هل لك في الحمام ، قالت : نعم ، فلما دخلت الحمام وافاها المهدى فبرزت له ولم تستتر عنه فقال لها المهدي : انا وليك فزوجيني نفسك ،فقالت : انا امتك،فتزوجها ونال منها ، فلما انصرفت اخبرت إخوتها بما كان فقالوا امسكي عنه ، فلما كان بعد مدة قالوا لها استزيري الخيزران فاستزارتها فلما صارت اليها قالت : هل لك فى الحمام ، قالت: نعم ، فلما دخلتا معاً ماشعرت الخيزران الا بابني أبي عبيد الله قد عمدوا عليها فاستترت عنهم فقالوا لو أردنا أن نفعل كما فعلتم بحرمتنا لفعلنا ولكنا لا نستحل ، فقالت لهم : والله لو رمتم ذلك لأمرت الخدم بقتلكم ، فانصرفوا فلما رجعت الخيزران أخبرت المهديّ بذلك فكان السبب فى قتل المهدىّ محمد بن ابى عبيد الله على الزندقة . وبلغه ايضا عن عونة بنت ابى عون جمال وهيئة فقال للخيزران : استزيريها فاستزارتها فقالت لها الخيزران : هل لك فى الحمام ، قالت نعم ، فلما دخلتا ماشعرت الا بالمهدى قدوافاها فاستترت بالخيزران وقالت : والله لئن دنوت منى لأضربن بالكرنيب وجهك ، فقال : ويلك انما أردت ان اتزوجك ، قالت : لاسبيل الى ذلك ، فانصرف عنها ، فاخبرت أباها فقال : أحسنت فى فعلك

* * *

محاسن القيادة

الحسن الجرجانى :قال حدثنى سهم بن عبد الحميد الحنفى قال خرجت من الكوفة اريد بغداد فلما نزلت بسط غلماننا وهيؤا غداءنا فاذا نحن برجل حسن الوجه

والهيئة على برذون فاره فصحت بالغلمان فاخذوا دابته فدعوت بالغداء فبسط يده غير محتشم وما أكرمته بشيء الّا قبله وكنا كذلك اذ جاء غلمانه بثقل كثير وهيئة جميلة فتناسبنا فاذا هو طريح بن اسماعيل الثقفي فارتحلنا في قافلة منا لايدرك طرفاها فقال طريح ما حاجتنا الى هذا الزحام وليست بنا اليهم وحشة ولا علينا خوف فاذا خلونا بالخانات والطرق كان أروح لأبداننا قلت ذلك اليك فنزلنا من الغد الخان وتغدّينا والى جانبنا نهر ظليل بالشجر فقال هل لك ان تستنقع فيه فمررنا اليه فلما نزع ثيابه اذا بين جنبيه آثار ضرب كثير فوقع في نفسي منه شر فنظر الي ففطن وتبسم وقال قد رأينا ذعرك بما ترى وحديث ذلك يجري اذا سرنا بالعشية فلما سرنا قلت له الحديث قال نعم قدمت من عند الوليد بن يزيد بالغناء واليسار وكتب الي يوسف بن عمر فلما أتيته ملأ يدي خيراً فخرجت مبادراً الى الطائف فلما امتد بي الطريق وليس يصحبني فيه احد عنّ لي اعرابي على قعود له فحدث احسن الحديث وروي الشعر فاذا هو راوية فانشد فاذا هو شاعر فقلت : من اين اقبلت ، قال : لا ادري ، قلت : وما القصة ، قال : انا عاشق لامرأة قد افسدت عليّ عيشي وقد حذرني اهلها وجفاني لها أهلي وانما استريح بان انحدر الى الطريق مع منحدر واصعد مع مصعد ، قلت : فأين هي ، قال : ننزل غداً بازائها ، فلما نزلنا أراني طريقاً عن يسار الطريق فقال : ترى ذلك الطريق ، فقلت : أراه ، قال : فترى الخيم التي هناك ، قلت : نعم ، قال : فانها في الخيمة الحمراء ، فأدركتني اريحية الحدث فقلت : والله اني آتيها برسالتك فمضيت حتى انتهيت الى الخيم فاذا امرأة ظريفة جميلة كأنها مهرة عربية فذكرته لها فزفرت زفرة كادت تنتقض أضلاعها قالت : أوحيّ هو ، قلت : نعم تركته في رحلي وراء هذا الطريق ، قالت : بأبي أنت وأمي أرى لك وجهاً حسناً يدل على الخير فهل لك في أمر ، قلت : نعم فقير اليه ، قالت : البس ثيابي فأقم مكاني ودعني حتى آتيه وذلك عند مغيربان الشمس فانك اذا اظلم الليل اتاك زوجي فقال لك يافاجرة ويا هنة ابنة الهنة فيوسعك شتما فأوسعه صمتاً ثم يقول في آخر كلامه إقعي سقاءك ياعدوة الله فضع القمع في هذا السقاء واياك وهذا السقاء الآخر فانه واه ، قلت : نعم فأجبتها الى ما سألت فجاء الزوج على ما وصفت

وقال اقمني سقاءك فخيرني الله ان تركت الصحيح وقمت الواهى فماشعر الا بالبن يتسبب بين رجليه فعدا الى كسر الخيمة وحلّ متاعه وتناول رشاء من قدّ مدبوغ ثم ثناه باثنتين فجعل لا يتقى رأساً ولا وجهاً ولا رجلا حتي خشيت ان يبدو له وجهى فتكون الأخرى فألزمت وجهى الأرض فعمل بظهرى ما تري فلما تغيب عنى جاءت المرأة باكية فرأت ما بى من الشر واعتذرت وأخذت ثيابي وانصرفت ، قال وحدث بهذا الحديث محمد بن صالح بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب صلوات الله عليه بسر من راى سنة أربعين ومائتين وكان حمل من البادية الى المتوكل فأطلقه وكان اعرابيا فصيحا فعجب منه وكان حسن الوجه نجيباً قلّ ما رأيت فى الفتيان مثله. قال كان منا فتى يقال له الأشتر بن عبد الله وكان سيد بني هلال واحسنهم وجهاً واسخاهم كفاً وكان معجباً بجارية يقال لها جيداء بارعة الجمال فلما اشتهر أمرها وظهر خبرهما وقع الشر بين أهل بيتيهما حتي قُتل بينهما القتلى فافترقوا فريقين فلما طال على الأشتر البلاء جاءنى يوما وقال يانمير هل فيك خير قلت عندى ما احببت قال فساعدنى على زيارة جيداء قلت بالحب والكرامة فانهض اذا شئت قال فركبنا وسرنا يوما وليلة والغداة حتي المساء فنظرنا الى أدني سرب لهم فانخنا رواحلنا فى شعب وقعدنا هناك وقال يا نمير اذهب وانشد واذكر لمن يلقاك انك طالب ضالة ولا تعرض بذكرى بشفة ولا لسان الى ان تلقى جاريتها فلانة راعية الضأن فتقرئها منى السلام وتسألها عن الخبر وتعلمها بمكانى ، قال فخرجت لا أتعدى ما أمرنى به حتي لقيت الجارية فأبلغتها الرسالة وأعلمتها بمكانه وسألتها عن الخبر فقالت هي مشدّد عليها محتفظ بها وعلى ذلك فموعدكما عند الشجرات اللواتى عند أعقاب البيوت مع صلاة العشاء فانصرفت فأخبرته ثم قدنا رواحلنا حتى اتينا الموعد فى الوقت الذي وعدتنا فيه فلم نلبث الا قليلا حتى اذا جيداء تمشي فدنت منا فوثب اليها الأشتر فتصافحا وسلم عليها ووثبت موليّاً عنهما فقالا اقسمنا عليك الا رجعت فوالله ما بيننا من ريبة ولا قبيح نخلو به دونك فانصرفت اليهما وجلست معهما فقال الأشتر ما فيك حيلة ياجيداء فتتزوّد منك الليلة قالت لا والله ما الى ذلك سبيل الا ان أرجع الى الذي تعلم من البلاء والشر فقال لا بد من ذلك ولو وقعت السماء على الأرض قالت فهل بصاحبك خير قلت

بلى وهل الخير الا عندي فاسألي ما بدا لك فاني منته اليه ولو كان فى ذلك كله ذهاب نفسى فألبستنى ثيابها وأخذت ثيابى ثم قالت اذهب الى خبائي فادخل فى سترى فان زوجي يأتيك مع العتمة فيطلب منك القدح ليحلب فيه فلا تعطه من يدك فكذلك كنت افعل فيحلب ثم يأتيك بالقدح ملآنا لبناً فيقول هاك فلا تأخذه منه حتى يطيل عليك نكدك ثم خذه او ذره حتى يضعه ثم يستبد بردائه ولست تراه حتى يصبح فذهبت ففعلت ما أمرتنى به حتى جاء بالقدح فيه اللبن فاطلت نكدى عليه ثم اهويت لآخذه فاختلفت يدي ويده وانكفأ القدح فاندفق منه اللبن فقال ان هذا لطماح مفرط وضرب يده الى جانب الخباء فاستخرج سوطاً فضربنى مقدار ثلاثين سوطاً حتى جاءت أمه وأخواته فانتزعوني منه ولا والله ما فعلوا ذلك حتى زايلتنى روحي وهممت أن أوجره بالسكين فلما خرجوا عنى وهو معهم قعدت كما كنت الله فما لبثت ان جاءت أم جيداء فحدثتنى وهي تحسبنى ابنتها فألقيتها بالسكوت وتغطيت بثوبي دونها فقالت يابنية اتقي الله ولا تتعرضى للمكروه من زوجك فذلك أولى بك ثم خرجت من عندي فقالت سأرسل اليك اختك تؤنسك وتبيت الليلة عندك فلم ألبث ان جاءت الجارية تبكي وتدعو على من ضربني وانا لا أكلمها ثم اضطجعت الى جانبي فلما استمكنت منها شددت يدي على فمها وقلت ياهذه تلك أختك مع الأشتر وقد قطع ظهرى بسببها وأنت أولى من سترعليها فاختارى لنفسك ولها فوالله لئن تكلمت لتكونن فضيحة شاملة ثم رفعت يدى عن فيها فاهتزت مثل القصبة من الروع وباتت معي ونلت منها الشهوة التامة ورافقتني اصلح رفيق رافقته ولم أذق شيئاً ألذ مما ذقت منها قط فلم نزل نتحدث وتضحك منى ومما بليت به حتي برق النور وجاءت جيداء فلما رأتنا ارتاعت وقالت من هذا عندك قلت أختك قالت وما السبب قلت هى تخبرك فانها عالمة به وأخذت ثيابى وأتيت صاحبي فأخبرته بما أصابنى وكشفت له عن ظهري فاذا فيه ما الله به عليم فقال لقد عظمت منتك عندي ووجب شكرك وخاطرت بنفسك فلا حرمني الله مكافأتك ،، وعن رجل من بني عامر انه خرج وهو غلام ما بقل وجهه وكان ذا جمال وهيئة صاحب غزل فهجم على قوم يتحملون وقد شدوا أثقالهم وبرزوا واذا امرأة جميلة قد تخلفت على جمل لها لاصلاح شأنها

قال فوقفت عليها فاذا هي احسن خلق الله وجها واغزله واملحه فتلاقينا كلاما غير كثير فقالت : اسألك شيئاً فهل لك به علم ، قلت : سلى ، فقالت : ايهما احسن جردة الرجل أم المرأة ، قلت : الرجل ، قالت : بل المرأة فان احببت ان تعلم ذلك علمته ، قلت : وكيف اعلمه ، قالت : اتجرّد لك من ثيابي وارميها عنى ثم امشى حتى ابلغ الأكمة ثم اقبل حتى آتيك فتعطيني عهد الله وميثاقه لتفعلن كما فعلت ، فقلت : لك عهد الله ان فعلت لأفعلنه ، قال فألقت ثيابها عن احسن ما نظرت اليه قط بياضا ونظافة وحسنا فلما انتهت إلي قالت : الوفاء ، قلت الوفاء ونعمة عين فخلعت ثيابى وانا كأبهى الفتيان وأهيأهم حتى مضيت بعد الغاية فلما انتصف بى المدى سمعت خرخرة جملى فاذا هي قد جالت على ظهره لابسة ثيابي متنكبة قوسى قد لزمت المحجة فناديتها فلم تعرج على ولبستُ ثيابها وتخمرتُ بخمارها وركبتُ بعيرها وزجرته فانبعث بي أثر الحي وأخذت شق الوحشي حتى ما أراها وجعلت أكف عن الجمل اذ خشيت ان ألحق الظعن حتى رأونى من بعيد وجعلوا ينادون ويحك أقبلى وانا صامت لا أتكلم ولا أتقدم فلما طال عليهم أمرهي بعثوا بجارية لهم مولدة فاقبلت تعدو حتى أتتنى ونشطت خطام الجمل من يدى وانا متبرقع احسن الناس وجها وعينا فنظرت الجارية فى وجهي ساعة ثم قالت لقد امسيت حديدة الطرف وقادت الجمل حتى اتت الحي فقالت ام الجارية : بابنية لقد استحييت من الناس مما دعوتك العشية ثم تأملت ونظرت وسائر النساء وقالت احداهن والله انه لرجل وفطن وانزلتنى العجوز وادخلتنى الستر وقالت : من أنت لا أفلحت ، قلت : بل ابنتك لا أفلحت ولا انجحت وقصصت عليها قصتها ، فقالت : نشدتك الله الا اعرتنى نفسك هزيعاً من الليل فانّا كنا على أن نبنى بابنتى صاحبة الجمل الليلة وما فى الحي رجل غير زوجها وهو انسان فيه لوثة ولا بد من أن أدخلك عليه فانك غلام أمرد فلا ينكرك ولا أراه أقوى منك ان اعتركتما فلك عندي يد بيضاء واقبلت وأخت لابنتها وخالتها فالبسنى ثوب العروس وطيبتنى ثم دلفن بى نحو الرجل بعيد العتمة وقالت أمها : انا لك الفداء تجلد ساعة بالامتناع فانه منصرف عنك وستأتيك الكافرة فأدخلتني على مثل الأسد الا ان به لوثة كما قالت فاعتركنا حتى اعيى وكفّ عنى وطال

بي الليل حتى سمعت خرخرة جملي فلم البث الا هنيهة حتى جاءت أمها وخالتها وهي معهما فجعلتها مكاني وفتشتُ عن سرها فاذا هي قد ظلت مع انسان كانت تهواه وأتيت ثيابي فنهضت مبادراً لا ألوي على شيء حذراً مما لقيت ،، قيل وملك النعمان بن المنذر اربعين سنة فلم تُرَ منه سقطة غير هذه : وهو انه ركب يوما فبصر بجارية قد خرجت من الكنيسة فاعجبته لجمالها فدعا بعديّ بن زيد وكان نديمه ووزيره فقال له ياعديّ لقد رأيت جارية لئن لم اظفر بها انه الموت ولا بد من أن اتلطف أو تتلطف لي حتى تجمع بيني وبينها ، قال : ومن هي ، قال : سألت عنها فقيل هي امرأة حكم بن عمرو رجل من أشراف الحيرة ، قال : فهل اعلمت أحداً ، قال : لا . قال : فاكتمه فاذا اصبحت فجدّد لحكم كرامة وبراً فلما اذن للناس بدأ به فأجلسه معه على سريره وكساه فاستعظم الناس ذلك فلما أصبح بدأ أيضاً بالاذن له وحَمّله فأنكر الناس ذلك فقالوا : ما هذا إلا لأمر فصنع به ذلك أياما ثم قال له عديّ : أيها الملك عندك عشر نسوة فطلق احداهن ثم قل له فليتزوجها ففعل فلما دخل عليه قال : ياحكم ما كانت نفسي تسمح بهذا لولد ولا لوالد فتزوج فلانة فقد طلقتها . فخرج حكم الى عديّ فقال : يا أبا عويمر ما صنع الملك باحد ما صنع بي وما أدري بما أكافيه ، قال له عديّ : طلق امرأتك كما طلق لك امرأته ، ففعل وحظي بها عديّ عنده وعلم حكم انه قد مكر به في امرأته ،، وفيه يقول الشاعر

ما في البَرِيّةِ مِنْ أُنثى تعادِلُها ... إلاّ الذي أخذَ النُّعمانُ مِنْ حَكَمِ

وحدث الفضل بن العباس عن الزبير بن بكار عن محمد بن بشير الخارجي قال : قدم علينا رجلان من اهل المدينة يصيدان ومعهما نسوة والفساطيط مضروبة وكان سليمان بن عبدالله الاسلمي وابن اخ له مقيمين بناحية الروحاء فأرسل النسوة الى سليمان وابن اخيه اما لكما حاجة في الحديث فرد الرسول ان يكن لنا فيه حاجة فكيف لنا بذلك مع ازواجكن فقلن انما خرج ازواجنا للصيد وقد بلغنا ان لكم صاحباً يعرف من طلب الصيد ما لا يعرفه غيره فلو طرح لهم شيئاً من ذكره لأسرعوا اليه وتخلفتم وتحدثتم

ماشئتم يعنيني به محمد بن بشير فمضى اليه سليمان وابن اخيه فقالا: يا ابا محمد ارسل الينا النسوة بكذا وكذا وسألونى ان اخرجك الي الصيد فقلت لا والله لا أفعل ولا أتعب ولا أنصب وأنتم تتلهون وتحدثون انا لذا اشد حبا واكثر صبابة وشوقا فارسلا الى النسوة بمقالتى فارسلن إلي رسولا وعاهدنى لئن اخرجتهم ليحتلن لي حتى اخلو معهن ليلة حتى الصبح فصرت اليهم وذكرت لهم الصيد فخرجوا معي فما زلت احدثهم بالصدق حتي اخذت فى الكذب مما يضارع الصدق حتى افنيته فاقمت معهم ثلاثة ايام ولياليها ثم انصرفوا من غير ان اصطدنا شيئاً فقلت في ذلك

إني انطلقتُ معي قومٌ ذوو حسبٍ ... ما فى خلائقهم زهوٌ ولا حمقُ

إني لأعجبُ منهم كيف أخدعهم ... أم كيف آفكُ قوماً ما بهم رهقُ

أظلُّ في الأرضِ أُلهيهم وأُخبرهم ... أخبارَ قومٍ وما كانوا ولا خُلقوا

ولو صدقتُ لقلتُ القومُ قد خلوا ... حينَ انطلقنا وإني ساعةَ انطلقوا

فلو أُجاهدُ ما جاهدتُ دونكمُ ... في المُشركينَ لأدركتُ الأُولى سبقوا

إن كنتُ أبدأُ جاري من خلائقكم ... والدهرُ ذو عنفٍ أيّامُهُ طُرُقُ

فإنَّ كلَّ جديدٍ عائدٌ خلقاً ... فلن يعودَ جديداً ذلكَ الخلقُ

قال فظفر أصحابي بالحديث والمغازلة وانا بالجهد والخيبة مع أتم القيادة والتعب وكذب المحادثة ،، وحدثنا وهب بن سليمان عن عمه الحسن بن وهب قال خرج محمد بن عبد الملك الزيات من عند الواثق ومزيد بن محمد بن ابي الفرج الهارونى وكيل عبدالله ابن طاهر فاذا بجارية حسناء فى منظرة لها فلما بصرت به ورأت موكبه وكان جميلا ظريفا أومأت اليه بالسلام وأومأت بيدها الى صدرها فاعجب بها فلما صار الى منزله دخلت اليه فرأيته بخلاف ماعهدت وكان لا يكتمني شيئا فقلت مالي اراك مدلها يا ابا الحسن قال رأيت شيئا انا فيه مفكر ثم أنشأ يقول

وابأبي مُخضبٌ أومى إلينا بيدِه
أومى بها يخبرُني راحتُهُ في كبدِه
أنَّ الضنى في جسدي يخبرُني عن جسدِه
فليس للحاسدِ إلاَّ خصلةٌ من حسدِه

ثم شرح لي القصة ثم انصرفت من عنده ووافيت مولى الجارية فسألته أن يبيعها فقال اشتريتها للامير عبد الله بن طاهر وليس الى بيعها من سبيل فلم أزل به حتى اشتريتها بخمسين ألف درهم ووجهت بها اليه وكتبت اليه

هذا محبُّك مطويٌّ على كمدِه عبرى مدامعهُ تجري على جسدِه
لهُ يدٌ تسألُ الرَّحمٰن راحتها مما به ويدٌ أُخرى على كبدِه

فقبلها وحسن موقعها عنده فولّاني خراج ديار ربيعة فأصبت فيها الف الف درهم ،، قال السجستاني : ارق الرشيد ذات ليلة فوجه الى عبد الملك الاصمعي والى الحسين الخليع فاحضرهما وشكا اليهما مدافعة نومه وشدة ارقه وقال لهما : عالاني باحاديثكما وابدأ أنت يا حسين ، قال : نعم يا أمير المؤمنين خرجت في بعض السنين منحدرا الى البصرة وممتدحا آل سليمان فقصدت محمد بن سليمان بقصيدتي فقبلها وأمرني بالمقام فخرجت ذات يوم الى المربد وجعلت المهالبة طريقي فاصابني حر وعطش فدنوت من باب دار كبير لاستسقي فاذا انا بجارية أحسن ما يكون كأنها قضيب يتثنى وسناء العينين زجاء الحاجبين مهفهفة الخصر حاسرة الرأس مفتوحة الجربّان عليها قميص لاذٌ جاناريّ ورداء عدني قد علت شدة بياض بدنها حمرة قميصها تتلألأ من تحت القميص بثديين كرمانتين وبطن كطي القباطي وعكن مثل القراطيس لها حمة جعدة بالمسك محشوة وهي يا أمير المؤمنين متقلدة خرزاً من ذهب والجوهر يزهر بين ترائبها وعلى صحن جبينها طرة كالسبج وحاجبان مقرونان وعينان كحلاوان وخدان أسيلان وانف أقنى تحته ثغر كاللؤلؤ واسنان كالدر وقد غلب جربّانها سواد المسك والغالية

ودابر العود الهندى على لبتها عبق الخلوق وهي والهة حيرى واقفة في الدهليز وجائية تخطر فى مشيتها قد خالط صرير نعلها أصوات خلخالها كأنها تخطر على اكباد محبيها فهي كما قال الافوه الأودى

ليسَ منها ما يُقالُ لها ... كَمُلَتْ لو أنَّ ذا كَمُلا
كلُّ جزْءٍ من محاسنها ... كائنٌ من حُسنها مَثَلا
لو تمنَّتْ في براعتها ... لم تجِدْ في حُسنها بَدَلا

فهبتها والله يا أمير المؤمنين ثم دنوت منها لأسلم عليها فاذا الدار والدهليز والشارع قد عبقت بالمسك فسلمت عليها فردت السلام بلسان منكسر وقلب حزين محرق فقلت لها : يا سيدتى انى شيخ غريب أصابنى عطش فأمرى لي بشربة من ماء تؤجرى ، قالت : اليك عني ياشيخ فاني مشغولة عن سقي الماء وادّخار الأجر ، فقلت لها : يا سيدتى لأيّة علّة ، قالت : لأني عاشقة من لا ينصفنى وأريد من لا يريدنى ومع ذلك فاني ممتحنة برقباء فوق رقباء ، قلت لها : يا سيدتى هل على بسيط الأرض من تريدينه ولا يريدك ، قالت : انه لعمرى على ذلك الفضل الذي ركّب الله فيه من الجمال والدلال ، قلت لها : يا سيدتي فما وقوفك فى الدهليز ، قالت : هو طريقه وهذا أوان اجتيازه ، قلت لها : يا سيدتي هل اجتمعتما فى خلوة في وقت من الأوقات أم حبٌّ مستحدث ، فتنفست الصعداء وأرخت دموعها على خديها كطلّ على ورد ،، وأنشأت تقول

وكنا كغُصنيْ بانةٍ وسْطَ رَوْضةٍ ... نَشُمُّ جَنَا اللَّذّاتِ في عيشةٍ رَغْدِ
فأفرَدَ هذا الغُصنَ من ذاكَ قاطعٌ ... فيا مَنْ رأى فرْداً يَحِنُّ إلى فرْدِ

قلت لها : يا هذه ما بلغ من عشقك هذا الفتي ، قالت : أرى الشمس على حائطهم أحسن منها على حائط غيرهم وربما أراه بغتة فأبهت وتهرب الروح عن جسدي وأبقى الأسبوع والأسبوعين بغير عقل ، قلت لها : عزيز عليّ وأنت على ما بك من الضنى وشغل القلب بالهوى وانحلال الجسم وضعف القوى ما أرى بك من صفاء اللون ورقّة

البشرة فكيف لو لم يكن بك من الهوى شيء أراك كنت مفتنة في أرض البصرة ، قالت : كنت والله يا شيخ قبل محبتي لهذا الغلام تحفة الدلال والجمال والكمال ولقد فتنت جميع ملوك البصرة وفتنني هذا الغلام ، فقلت : يا هذه ما الذي فرّق بينكما ، قالت : نوائب الدهر وأوابد الحدثان ولحديثي وحديثه شأن من الشان وأنبيك أمري اني كنت اقتصدت في بعض أيام النيروز فأمرت فزين لي وله مجلس بأنواع الفرش وأواني الذهب ونضّدنا الرياحين والشقائق والمنثور وأنواع البهار وكنت دعوت لحبيبي عدة من متظرفات البصرة فيهن من الجواري جارية شهران وكان شراؤها عليه من مدينة عمان ثمانمائة ألف درهم وكانت الجارية ولعت بي وكانت أول من أجابت الدعوة وجاءتني منهن فلما حصلت عندي رمت بنفسها عليّ تقطّعني عضاً وقرصاً ثم خلونا تمزز القهوة الى ان يدرك طعامنا ويجتمع من دعونا فتارة هي فوقي وتارة انا فوقها فحملها السكر على ان ضربت يدها على تكتي فحلتها ونزعت هي سراويلها وصارت بين فخذي كمصير الرجال من النساء فبينا نحن كذلك اذ دخل عليّ حبيبي وقد التزق قرطي بخلخالي فلما نظر الينا اشمأزّ لذلك وصدف عني وعنها صدوف المهرة العربية اذا سمعت صلاصل اللجم وعضّ على أنامله وولّى خارجا فأنا يا شيخ منذ ثلاث سنين أسلّ سخيمته واستعطفه فلا ينظر إلي بعين ولا يكتب إلي بحرف ولا يكلم لي رسولاً ، قلت لها : يا هذه أمن العرب هو أم من العجم ، قالت : هو من جلّة ملوك البصرة ، قلت : من أولاد نُيّابها أو من أولاد تجارها ، قالت : من عظيم ملوكها ، قلت لها : اشيخ هو أم شاب ، فنظرت إلي شزراً وقالت : انك لأحمق أقول هو مثل القمر ليلة البدر أمرد أجرد وطرة رقعاء كحنك الغراب تعلوه شقرة في بياض عطر لبّاس ضارب بالسيف طاعن بالرمح لاعب بالنرد والشطرنج ضارب بالعود والطنبور يغني وينقر على أعدل وزن لا يعيبه شيء إلّا انحرافه عني لانقصاً لي منه بل حقداً لما رآني عليه ، قلت : يا هذه وكيف صبرك عنه ، فأنشأت تقول

أمّا النهارَ فمُستهامٌ والهٌ ... وجُفونُ عيني ساجفاتٌ تدمعُ

والليل قد أرعى النجوم مفكرا ... حتى الصباح ومقلتى لا تهجع
كيف اصطباري عن غزال شادن ... فى لحظ عينيه سهام تصرع
وجه يضيء وحاجبان تقوسا ... وكأن جبهته سراج يلمع
وبياض وجه قد أشيب بحمرة ... فى وجنتيه كأنه مستجمع
والقد منه كالقضيب إذا زهى ... والغصن فى قنوائه يتزعزع
تمت خلائقه وأكمل حسنه ... كمثال بدر بعد عشر أربع

قلت لها : ياسيدتي ما إسمه وأين يكون ، قالت : تصنع به ماذا ، قلت : اجهد في لقائه واتعرف الفضل بينكما فى الحال ، قالت : على شريطة ، قلت : وما هي ، قالت : تلقانا اذا لقيته وتحمل لنا اليه رقعة ،قلت : لا أكره ذلك ، قالت : هو ضمرة بن المغيرة ابن المهلب بن أبي صفرة يكنى بابي شجاع وقصره فى المربد الأعلى وهو أشهر من ان يخفى ثم صاحت فى الدار يا جواري دواةً وقرطاساً وشمرت عن ساعدين كانهما طومارا فضة ثم حملت القلم وكتبت بسم الله الرحمن الرحيم سيدى تركي الدعاء فى صدر رقعتى ينبئ عن تقصيري ودعائى ان دعوت يكون هجنة فلولا ان بلوغ المجهود يخرج عن حد التقصير لما كان لما تكلفته خادمتك من كتب هذه الرقعة مغني مع اياسها منك وعلمها بتركك الجواب سيدي فجد بنظرة وقت اجتيازك فى الشارع الى الدهليز تحيي بها أنفسا ميتة أسرى وأخطط بخط يدك بسطها الله بكل فضيلة رقعة فاجعلها عوضا من تلك الخلوات التى كانت بيننا فى الليالى الخاليات التي انا ذاكرتها سيدى الست لك محبة وبك مدنفة فان رجعت مولاي الى الاشبه بك وانقذتني من عوارض التلف كنت لك خادمة ولك شاكرة فلما فرغت من الكتاب يا امير المؤمنين ناولته إياي فقلت لها : ياسيدتى قد وجب حقك على ولزمتك حرمتى لطول وقوفى عليك وكنت قد سألت شربة ماء ، قالت : استغفر الله ما فهمنا عنك ثم صاحت فى الدار أخرجن الينا شرابا من ماء وغير ماء فما كان الا ان اقبل ثلاثون وصيفة بايديهن الطاسات والجامات والاقداح مملوءة ماء

وثلجا وفقاعا وشرابا فشربت الماء ثم قلت ياسيدتى مع قدرتك على هذا من استواء الحال وكثرة الخدم والعبيد والجوارى فلم لا تأمرين احدى الجوارى أن تقف مراعية للغلام حتى اذا مر اعلمتك فتخرجين اليه ، قالت : لاتغلط ياشيخ فتمثلت

عَبالَةَ عنْقِ اللَّيثِ من أجلِ أنّهُ إذا رامَ أمراً قامَ فيهِ بنفْسِهِ

ثم انصرفت عنها يا أمير المؤمنين فلما اصبحت غدوت على محمد بن سليمان فوجدت مجلسه محتفلا بالملوك وأبناء الملوك ورأيت غلاما قد زان المجلس وفاق من فيه حسناً وجمالا قد رفعه الامير فوقه فسألت عنه فقيل ضمرة بن المغيرة فقلت فى نفسى بالحقيقة حلّ بالمسكينة ماحلّ هو والله قاتلها فيما أرى ثم قمت فقصدت المربد ووقفت على باب داره فاذا هو قد وردفي موكب جليل فوثبت اليه وبالغت في الدعاء والثناء ثم دنوت منه وفاوضته فى الذي جرى بيني وبينها وناولته الرقعة فلما قرأها ضحك ثم قال : يا شيخ قد استبدلنا بها فهل لك في ان تنظر الى البديل ، قلت : نعم ، فصاح فى الدار يا جوارى اخرجن الينا لذيذا فما كان ألا ان طلعت جارية وضيئة الكمين ناهدة الثديين تمشى مشية مستوحل ترتج من دقة خصرها على كبر عجزها ذات نخذين وعجيزتين تختطفان الأنفس اختطافا على رأسها بطيخة من الكافور مكتوب على جبينها

آهٌ منَ الحُبِّ آهُ ماأَقتلَ الحُبَّ وأَضناه

ودون ذلك مكتوب

عَيَّارَةٌ مَيَّاسَةٌ فى الخُطَى رَخيمةُ الدَّلِّ صَيُودٌ للرِّجالِ

وقد كتبت بالغالية على عصابتها ثلاثة اسطر وهى

إذا غَضِبَتْ رأَيتَ النَّاسَ قَتلَى وإنْ رَضِيَتْ فأَرْوَاحٌ تَعُودُ
لها في عينِها لَحظاتُ سِحْرٍ تُميتُ بها وتُحيى منْ تُرِيدُ
وتَسْبي العالَمينَ بمُقلتيْها فكُلُّ العالَمينَ لها عَبِيدُ

فناولها الرقعة وقال اقرئى واجبي صاحبتك فلما قرأت الرقعة اصفرت وعرقت

ومزقتها وضربت بها في وجه الغلام وغابت في الستر ، فقال لي : أما أنت ياشيخ فاستغفر الله مما مشيت فيه ، قلت : بل أنت استغفر الله من هجرانك اياها وتركك إتيانها والله ماأرى لها في البشر نظيراً ، قال لا أفعل ولو أنها في حسن يوسف وكمال حواء فخرجت ياأمير المؤمنين وأنا أجر ذيلي حتى وردت عليها فاستأذنت ودخلت فبدأت بي ، فقالت : ما وراء الشيخ ، قلت : البؤس واليأس : قالت لا عليك فأين الله والقدر ثم أمرت لي بخمسمائة دينار وعشرة أثواب وخرجت من عندها وأنا ممتدح لآل سليمان فلم يكن لي والله الا معرفة خبرها في العام الذي عدت فيه الي البصرة فوردت عليها فوجدت على بابها أمراً ونهياً وأسباباً لاتكون الا على باب الخلفاء فاستأذنت فدخلت فاذا فوق رأسها ثلاثون رجلا من شيوخ وشبان وخدم وقوف بسيوفهم فلما نظرت الي عرفتني ووثبت الي وقبلت رأسي وقالت ياشيخ الحمد الله الذي جعل العبيد بالصبر ملوكا وجعل الملوك بالتيه عبيداً ان الذين تراهم وقوفا أصحاب ضمرة يسلون سخيمتي ويسألونني الرجوع له والله لانظرت اليه في وجه ولو أنه في حسن يوسف وكمال حواء فسجدت ياأمير المؤمنين شمانة بضمرة وتقرباً الي الجارية فقال بعض حجاب ضمرة مهلا ياشيخ فمن طاب محضره طاب مولده ثم انصرفوا فناولتني خريطة فيها أوراق فقلت هذا أول ماورد علينا منه فاذا فيها ثوب خز أبيض يقق مكتوب فيه بماء الذهب بسم الله الرحمن الرحيم لولا تغاضي عليك أدام الله حياتك لوصفت شطراً من غدرك ولبسطت سوط عتبي عليك وحكمت سيف ظلامتي فيك اذ كنت الجانية على نفسك والمظهرة لسوء العهد وقلة الوفاء المؤثرة علينا غيرنا فخالفت هواي وفرشت نفسك لها على حالتي جد وهزل ومحو وسكر والمستعان الله على ما كان من سوء اختيارك وقد ضمنت رقعتي هذه أبيات شعر أنت المتفضلة بالنظر اليها وهي

قَطَّعَ قلبي فراقُكُمْ قِطَعا ... وكِدْتُ أَقْضي لبينكُمْ جزَعا

ما تكْحَلُ العينُ بالرُّقادِ ولا ... يَنامُ جَنْبي في اللَّيلِ مُضْطَجعا

لاعيشَ لي مُذْ نأَتْ ولا وَجَدَتْ ... عيناي في الأَرْضِ قطُّ مُتَّسَعا

قلت لها : أفلا تحدثيني كيف سليت عنه وابتلى ، قالت : كيف لأحدثك افتصدت

تفاحة جارية محمد بن سليمان فدعينا الى خورنق لمحمد بن سليمان فلما طعمنا دعت لنا بالشراب فبينا نحن كذلك اذا بحراقة سلطانية قد وردت وفيها عدة من أبناء الملوك وفيهم هذا العيار ولا علم لى بمكانه وكنت حملت العود وغنيت

أَبلى فُؤادِي وشَفَّني الأَرَقُ ... والدَّمْعُ مِنْ مُقلتيَّ يَستَبِقُ

مِنْ حُبِّ ظَبيٍ أَغَنَّ ذي دَعَجٍ ... وقلبُهُ للشَّقاءِ مُنْطَبِقُ

فلما وجبت العتمة انصرفنا وأبطأت الجارية وأتاني هؤلاء القوم من عنده يسلون سخيمتى ويستعطفونني عليه ثم انصرفت عنها ياأمير المؤمنين ودخلت الحمام من ساعتي فما كان الا أن دخلت حتى أتاني غلامي فقال : جماعة من جلة الناس قد طرقوا دارك يطلبونك فلبست ثيابي وخرجت مسرعا فاذا بضمرة قد كبس داري في عدة من الرؤساء فقال والله لابرحنا حتى تنفق علينا الخمسمائة دينار التي أخذتها من الجارية سيدتى ،قلت : أي والله بالسمع والطاعة ثم جذبني الى نفسه فلم يزل يناظرني في أمرها حتى أقبل المساء ثم انصرف الى رحله فلما كان من الغد وردت له رقعة مع خادم وكيس فيه ألف دينار واستزارني فقبلت ذلك وصرت معه اليه فلما نظر اليَّ تنحى عن مقعده وأقعدني ثم قال هذا قد أعددته للنيروز لسيدتي هدية وأنت أولى من تجشم مع الخادم اليها ، قلت : السمع والطاعة ثم صاح في الدار هاتوا الهدية فاذا مائة تخت من ثياب وصندوق من ذهب مقفل عليه ، فقال لى : في التخت والصندوق مبلغ ثلاثين ألف دينار وأنت أولى من تفضل بالايصال فصرنا اليها واستأذنا فلما مثلنا بين يديها أنكرتني ، وقالت : من الشيخ ، قلت : الخليع شاعر العراق ومعي هدية عبدك ضمرة فصاحت في الدار تملك فاذا جارية كأنها الظبية المنفلتة من الشبكة ، قالت : لها خذى هذه الهدايا وفرقيها على جوارى الدار ثم قالت أيطمع الخصوص أن يجتمع معي بعد قبولى الهدية في ثلاثين سنة ، قلت : لها العفو عند المقدرة يعدل عتق رقبة ، قالت : ففى خمس عشرة سنة ، قلت : لها انقصيها أولى بك ، قالت : ففى ثلاث سنين ، قلت : لها حطة أخرى وقد اجتمعنا ، قالت لا : والله لا آكل ولا أشرب حتى آتيه وأمرت أن يسرج لها وبادرت الي باب ضمرة مبشراً

فما وصلت أو سمعت صلاصل اللجم فاذا هي قد سبقتني فى جواريها وخدمها فدخلت فاذا هما يتعانقان ويتعاتبان فقلت ياسيدتى ماأنتما الى شئ أحوج منكما الى خلوة ، قالا : هو ذاك فانصرفت عنهما ثم بكرت عليهما فاذا هي في المرقد الأول جالسة عليها جبة وشئ معطير وهي تعصر الماء عن ذوائبها وتصلح قرونها فاستحييتني ، وقالت لا : تفكرن فى ريبة فوالله ماصلينا البارحة حتى بعثت الى عبدالرحمن بن أبى ليلى القاضى فزوجت نفسى سيدى ولكن صر اليه فانه في المرقد الثانى فصعدت اليه فلما نظر اليّ وثب اليّ وقبل بين عينى ، وقال : يا شيخ قد جمع الله بينى وبين سيدتى بك ثم دعا بدواة وقرطاس وكتب الى ابن نوح الصيرفى فى ثلاثة آلاف دينار فرجعت اليها ، فقالت : بما ذا برك سيدى فاقرأتها الرقعة ، فقالت : نعجل اليك مثلها فدعت بمال وطيار ووزنت ثلاثة آلاف دينار ودعت بعشرة أثواب من ثياب مصر وقالت هذه وظيفتك علينا كل عام فخرجت من عندها وأخذت مرفوعى من آل سليمان وانصرفت الى العراق وكان الرشيد متكئاً فاستوى جالساً وقال أوه ياحسين لولا أن ضمرة سبقنى اليها لكان لي ولها شأن من الشأن

﴿ومنه مع الشعراء﴾ قال استأذنت بنت لعبد الملك بن مروان فى الحج فأذن لها وكتب الى الحجاج يأمره بالتقدم الى عمر بن أبى ربيعة أن لايذكرها في شعره فلما بلغ عمر مقدمها لم يكن له همة الا أن يتهيأ باجمل مايقدر عليه من الحلل والثياب وضربت لها قبة فى المسجد الحرام فكانت تكون فيها نهاراً فاذا أمست تحولت الى منزلها لتنظر اليه وتجلس بازاء القبة وقد خبر عمر بشأنها فاذا أرادت الطواف أمرت جواريها فيسترنها بالمطارف فكانت تتطلع الى عمر كثيراً وكانت تسأل من دخل عليها عنه رجاء أن يكون قد قال شيئاً فلم يفعل حتى قضت الحج ورحلت ونزلت من مكة على أميال فأقبل راكب من مكة فسألته من أين أقبلت ، قال : من مكة ، قالت : عليك وعلى فرقة أنت منها لعنة الله ، قال : ولم يابنة عبد الملك ، قالت : قدمنا مكة فأقمنا أشهراً فما استطاع الفاسق عمر بن أبى ربيعة أن يزودنا من شعره أبياتاً كنا نلهو بها في سفرنا هذا ، قال : فلعله قد فعل ، قالت : فاذهب اليه واسأله ولك فى كل بيت تأتيني به منه عشرة دنانير فأقبل الرجل وأتى عمر ابن أبى ربيعة فأخبره الخبر فقال له : قد فعلت ولكن احبّ أن تكتم عليّ ، قال : افعل ثم أنشده

راعَ الفُؤَادَ تفرُّقُ الأَحبابِ ... يومَ الرَّحيلِ فهاجَ لي أطْرابي

فظَلِلْتُ مُكْتئِباً أُكَفْكِفُ عَبْرَةً ... سَحَّاً تفيضُ كَوابلِ الأَسْراب

لمّا تنادَوا للرَّحيلِ وقرَّبوا ... بُزُلَ الجِمالِ لطيّةٍ وذَهاب

كادَ الأَسَى يقضِي عليكَ صبابةً ... والوَجهُ منكَ لبينِ إلفِكَ كابي

قالتْ سُعَيدَةُ والدُّموعُ ذَوارِفٌ ... منها على الخدَّينِ والجِلْبابِ

ليْتَ المُغيريَّ الذي لمْ نَجْزِهِ ... فيما أطالَ تصيُّدِي وطِلابي

كانتْ تَرُدُّ لنا المُنَى أيّامنا ... إذ لا نُلامُ على هوىً وتَصابي

أيّامَ نكتمُ وِدَّنا ونَوَدُّهُ ... سِرّاً مَخافةَ مَنطِقِ المُغْتابِ

أُخبِرْتُ ما قالتْ فبِتُّ كأنّما ... يُرْمَى الحَشا بنوافذِ النُّشّابِ

فبعَثْتُ جاريتي وقلتُ لها اذْهَبي ... قولي لها في خِفْيةٍ وقَرابِ

أسُعَيْدَ ما ماءُ الفُراتِ وطيبُهُ ... منّي على ظَمإٍ وطيبِ شَرابِ

بأَلَذَّ منكِ وإن نأَيتِ وقلَّما ... تَرْعَى النِّساءُ أمانةَ الغُيّابِ

إنْ تَبْذُلي لي نائلاً أَشْفي بهِ ... سَقَمَ الفُؤادِ فقدْ أطلْتِ عذابي

وعَصَيْتُ فيكِ أقاربي فتقطَّعَتْ ... بيني وبينَهُمُ عُرَى الأَسبابِ

فبقيتُ كالمُهْرِيقِ فَضْلَةَ مائِهِ ... في حَرِّ هاجِرَةٍ لِلَمْعِ سَرابِ

ثم أتى اليها بالأبيات فأعجبت بها وأمرت جواريها بحفظها ثم وفت له بما وعدت وسلمت اليه في كل بيت عشرة دنانير ، وقال : أخبرنا محمد بن خلف قال أخبرني أبو بكر العامري قال حدثني موسى بن عمر بن أفلح مولى فاطمة بنت الوليد بن عبد شمس بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم قال حدثني بلال مولى ابن أبي عتيق ، قال : قام

الحارث بن عبد الله بن عباس بن أبي ربيعة من الحج فأتاه ابن أبي عتيق ، فقال : كيف تركت أبا الخطاب فقال هجرت الثريا عمر فقال

مَنْ رَسولي إلى الثُّرَيَّا فإني ... ضِقْتُ ذَرْعًا بهَجْرِها والكِتابِ
سَلَبَتْني مُجَّاجةُ المِسكِ عقلي ... فسَلوها بما يَحِلُّ اغتصابي
أَبرَزُوها مِثلَ المَهاةِ تَهادَى ... بينَ خَمْسٍ كواعبٍ أَتْرابِ
وهيَ مَمْكورةٌ تَحَيَّرَ مِنها ... في أَديمِ الخَدَّينِ ماءُ الشَّبابِ
وتَكَنَّفْنَها كواعبُ بيضٌ ... واضِحاتُ الخُدُودِ والأَقرابِ
في سِخابٍ مِنَ القَرَنْفُلِ والدُّرِّ ... نَفيسٍ واهًا لهُ مِنْ سِخابِ
قلتُ لمَّا ضَرَبْنَ بالسَّجْفِ دوني ... ليسَ هذا لودِّنا بثوابِ
فتَبَدَّتْ حتَّى إذا جُنَّ قلبي ... حالَ دوني ولائذٌ بالثِّيابِ
حينَ شَبَّ القَتولَ والعُنْقَ مِنها ... حُسْنُ لونٍ يَرِفُّ كالزِّرْيابِ
ذَكَّرَتْني بهَجْةِ الشَّمسِ لمَّا ... طلَعَتْ في دُجُنَّةٍ وسَحابِ
دُمْيةٌ عندَ راهبٍ وقَسيسٍ ... صوَّرُوها في مَذْبَحِ المِحرابِ
فارْجَحَنَّتْ في حُسْنِ خَلْقٍ عَميمٍ ... تَتَهادَى في مَشْيِها كالحُبابِ
ثمَّ قالوا تُحِبُّها قلتُ بَهْرًا ... عَدَدَ الرَّملِ والحَصَا والتُّرابِ

وقال لغلامه انطلق بكتابي هذا الى ابن أبي عتيق بالمدينة فادفعه اليه فأقبل الغلام بالكتاب حتى دفعه اليه فلما قرأه قال والله أنا رسوله اليها فسار حتى قدم مكة لا يعلم به أهله فأتى منزله فوجده غائباً فانطلق غلام عمر الى عمر ، فقال : أن رجلا قدم وهو يطلبك من شأنه وهيئته كذا ، قال : ويحك ذلك ابن أبي عتيق اذهب اليه فقل له ان مولاي يأتيك الآن وكان عمر على فرسخين بل على رأس ثلاثة أميال من مكة فأتاه الغلام

فأخبره فقال اسرج لي أنت برذون عمر فان دابتي قد تعبت وكلت فأسرجه له فركب وأتى الحي فصهل البرذون وسمعت الثريا صهيله ، فقالت : لجواريها هذا هو برذون الخبيث عمر ثم دعت ببغلة لها فوضعت عليها رحلها فخرجت فاذا هي بابن أبي عتيق فقالت مرحباً بعمي ماجاء بك ياعم ، قال : أنت والفاسق جئتما بي ، قالت : أما والله لو بغيرك تحمل علينا ما أجبناه ولكن ليس لك مدفع امرر بنا نحوه فأقبل حتى انتهى الى عمر فخرج عمر اليه وقبل يده ثم قال انزل جعلني الله فداك ، فقال : ماء مكة عليّ حرام حتى أخرج منها ثم دعا ببغلته فركبها وانصرف الى المدينه وخلا عمر بالثريا • وحدث الزبير ابن بكار عن أبي محرم عن ابراهيم بن قدامة قال قال عمر بن أبي ربيعة ألا أحدثك حديثاً حلواً ، قال قلت نعم قال بينا أنا جالس اذ جاءني خالد الخريت ، فقال يابا الخطاب هل لك في هند وصواحبها فقد خرجن الي نزهـة ، قلت وكيف لي بذلك قال تلبس لبسة أعرابي وتعتم عمامته وتركب مركبه كأنك ناشد ضالة ، قال ففعلت وجئت حتى وقفت عليهن أنشد ضالتي فقلن إنزل فنزلت وقعدت أحادثهن وأغازلهن فلما رمت النهوض قالت لي هند اجلس لا جلست أنت ألا ترى أنك وقفت علينا غريباً ونحن والله وقفنا على غربتك نحن بعثنا خالداً وخدعناه وأطمعناه في أنفسنا حتى جاء بك فقال خالد صدقن والله خدعتني وخدعتـك فجلست وتحدثنا فأنشدتهن ، فقالت هند ياسيدي لقد رأيتني منذ أيام وقد أصبحت عند أهلي فأدخلت رأسي في جيبي ونظرت الى هني فاذا هو ملء الكف ومنية المتمني فناديت ياعمراه ياعمراه ياعمراه ، قال عمر ، فقلت يالبيك يالبيك يالبيك ثلاثاً ومددت في الثالثة صوتي فضحكت وحادثتهن ساعة ثم ودعتهن وانصرفت فذلك قولي

عَرَفْتُ مَصيفَ الحَيِّ والمُتَرَبَّعا ... بِبَطنِ حُلَيَّاتٍ دَوارِسَ بَلْقَعا

إلى السَّفْحِ مِن وادِي المُغَمَّسِ بُدِّلَتْ ... مَعالِمُهُ وَبْلاً ونَكْباءَ زَعزَعا

لِهِندٍ وأترابٍ لِهندٍ إذِ الهَوَى ... جميعٌ وإذْ لم نَخْشَ أن يَتَصَدَّعا

وإذْ نَحنُ مِثلُ الماءِ كانَ مِزاجُهُ ... إذا صَفَّقَ السَّاقِي الرَّحيقَ المُشَعشَعا

وإذْ لا نُطيعُ الكاشحينَ ولا نَرَى ... لِواشٍ لَدَينا يَطلُبُ الصَّرْمَ مَطْمعا

وقال عمر مارأيت يوما غابت عواذله وحضرت عواذره بأحسن من يومنا ولا صبوة كصبوتنا ولا قيادة كقيادة خالد ولا أملح ولقد وصفت ذلك في شعر ، فقلت في تمام ماتقدم

أتاني رَسولٌ منْ ثلاثِ حَرائرٍ ... ورابعةٍ يَزْكُو لها الحُسْنُ أجمعا

فقلتُ لِمُطْرِيهِنَّ في الحُسْنِ إنَّما ... ضَرَرْتَ فهلْ تستطيعُ نفعاً فتنفعا

لئنْ كانَ ما حدَّثْتَ حقّاً لما أرَى ... كمثلِ الاولى أطْرَيتَ في الناسِ أربعا

وهيَّجْتَ قلباً كانَ قدْ وَدَّعَ الصِّبا ... وأشياعَهُ فاشفعْ عسى أنْ تُشفَّعا

فقالَ تعالَ انْظُرْ فقلتُ فكيفَ لي ... أخافُ مُقاماً أنْ يشيعَ ويَشْنعا

فقالَ اكتفلْ ثمَّ التثمْ وأتِ باغياً ... فسلِّمْ ولا تُكْثِرْ بأنْ تتورَّعا

فإني سأخفي العينَ عنكَ ولا تُرَى ... مَخافةَ أنْ يفشو الحديثُ فيُسمعا

فأقبلتُ أهوِي مثلَ ماقالَ صاحبي ... لموعِدِهِ أزجي قعوداً مُوقّعا

فلمَّا تواقفْنا وسلَّمتُ أشرقَتْ ... وُجوهٌ زَهاها الحُسْنُ أنْ تتقنعا

تبالَهْنَ بالعِرفانِ لمَّا عرَفْنني ... فقُلْنَ امرُؤٌ باغٍ أضَلَّ وأوْضعا

فلمَّا تنازَعْنَ الأحاديثَ قُلْنَ لي ... أخِفْتَ علينا أنْ نُغرَّ ونُخْدَعا

فما جِئْتَنا إلاَّ علي وَفقِ موْعِدٍ ... على مَلإٍ منّا خرَجْنا لهُ معا

رأينا خَلاءً منْ عيونٍ ومَجْلِساً ... دَميثَ الثَّرى سَهْلَ المَحلَّةِ مُمْرِعا

وقُلْنَ كريمٌ نالَ وَصْلَ كرائمٍ ... وحقَّ لهُ في اليومِ أنْ يتمتعا

وفيهنَّ هِنْدٌ تُكْمِلُ الهمَّ والمُنَى ... وإخداعَ عيني كُلّما رُمْتُ مهجعا

قال ولما أنشد عمر بن أبي ربيعة ابن أبي عتيق قصيدته التي فيها يقول

فأتتها طبّة عالمة تخلط الجدّ مراراً باللعب
ترفع الصوت إذا لانت لها وتراخي عند سورات الغضب

قال ابن أبي عتيق امرأتي طالق ان لم يكن الناس في طلب مثل هذه منذ قتل عثمان يجعلونها خليفة فلم يقدروا عليها وأنت تريدها قوادة ، قال ولما هجا كثير بني ضمرة فقال

ويحشر نور المسلمين أمامهم ويحشر في أستاه ضمرة نورها

اشتدت بنو ضمرة عليه وعلى عزة وأرادوا قتله ووضعوا له العيون فمكث شهراً لايصل اليها فالتقى جميل وكثير فشكى أحدهما الى صاحبه مايلقى ، فقال جميل أنا رسولك الى عزة فأخبرني بما كان بينكما ، قال آخر مالقيتها بالطلحة مع أتراب لها قال فأتاهم جميل وهو ينشد ذوداً له فقطنت عزة ، فقالت تحت الطلحة التمس ذوداً هناك فانصرف جميل فأخبر كثيرا فلما كان في بعض الليل أتيا الطلحة وأقلت عزة وصاحبة لها فتحدثا مليا وجعل كثير يرى عزة تنظر الى جميل وكان جميلا وكثير دميما فغضب كثير وغار عليها وقال لجميل انطلق بنا قبل أن يصبح علينا الصبح فانطلقا فعند ذلك يقول

رأيت ابنة الشّبلي عزّة أصبحت كمحتطب ما يلق بالليل يحطب
وكانت تمنينا وتزعم أننا كبيض الأنوق في الصفا المتغيّب

ثم قال كثير لجميل متى عهدك ببثينة ، قال في أول الصيف بوادي الدم ومعها جواريها غسلن ثياباً فخرج كثير حتى أناخ بهم وهو يقول

وقلت لها ياعزّ أرسل صاحبي على بعد دار والرسول موكّل
بأن تجعلي بيني وبينك موعدا وأن تأمريني بالذي فيه أفعل
أما تذكرين العهد يوم لقيتكم بأسفل وادي الدوم والثوب يغسل

فعلمت بثينة ما أراد فصاحت اخسأ اخسأ فقال عمها ما دهاك يابثينة ، قالت ان كلباً يأتيه

يأتينا من وراء هذا التل فيأ كل مايجد ثم يرجع فرجع كثير: وقال لجميل قد وعدتك التل فدونك فخرج جميل وكثير حتى انتهيا الى الدومات وقد جاءت بثينة فلم تزل معه حتى برق الصبح وكان كثير يقول مارأيت مجلساً قط أحسن منه: عمر بن شبة عن اسحاق بن ابراهيم الموصلي: قال حدثني شيخ من خزاعة قال ذكرنا ذا الرمة وعندنا عصمة بن مالك الفزارى وهو يومئذ ابن عشرين ومائة سنة فقال اياي فاسألوا عنه كان من أظرف الناس خفيف العارضين آدم حلو المضحك اذا أنشد اختصر وأتاني يوما فقال ان مية منقرية وان بني منقر أخبث حيّ وأعلمه بأثر فهل عندك من ناقة نزورها عليها قلت أي والله عندى اثنتان قال فسرنا فخرجنا حتى أشرفنا على الحيّ وهم خلوف فعرف النساء ذا الرمة فعدلن بنا الى بيت ميّ وأنخنا عندهن فقلن لذى الرمة أنشدنا ياأبا الحارث فقال أنشدهن فأنشدتهن قوله

نَظرْتُ إلي أظعانِ مَيٍّ كأنَّها ذُرَى النَّخْلِ أوأثْلٌ تميدُ ذوائبُه

فأُشْعِلَتِ النِّيرانُ والصَّدْرُ كاتِمٌ بمغْرَوْرِقٍ نمَّتْ عليهِ سواكِبُه

بكَى وامِقٌ جاءَ الفِراقُ ولم تَجِلْ جوائلُها أسرارُهُ ومَعاتِبُه

فقالت ظريفة منهن إبكي اليوم فمررت فيها حتى انتهيت الى قوله

إذا سَرَحَتْ من حُبِّ مَيٍّ سوارِحٌ على القلبِ آبتْهُ جميعاً عوازِبُه

فقالت الظريفة قتلته قتلك الله فقالت ما أصحه وهنيئاً له فتنفس ذوالرمة تنفساً كادت حرارته تساقط لحمي ثم مررت فيها حتى انتهيت الى قوله

وقد حلفَتْ باللهِ مَيَّةُ ماالذِى أقولُ لها إلاَّ الذِي أنا كاذِبُه

إذا فرَمانى اللهُ مِن حيثُ لا أرى ولازالَ فى أرْضي عدُوٌّ أُحارِبُه

فالتفتت ميّ الى ذى الرمة فقالت ويحك خف عواقب الله ثم أنشدت الى أن انتهيت الى قوله

إذا نازعتكَ القولَ ميَّةُ أو بدا لكَ الوجهُ منها أو نضا الدِّرعَ سالبُه

فيالكَ من خدٍّ أسيلٍ ومنطقٍ رخيمٍ ومن خلقٍ يعلّلُ جاذبُه

فقالت تلك الظريفة أما القول فقد نازعتك والوجه فقد بدا لك فمن لنا بأن ينضو الدرع سالبه فقالت لها ميّ قاتلك الله ما أنكر ماتجيئين به اليوم فتحادثنا ساعة ثم قالت تلك الظريفة ماأحوج هـذين الى الخلوة فنهضت وسائر النساء فصرت الى بيت قريب منهـما حيث أراهما فما ارتبت بشيء ولا رأيت أمراً كرهته فلبث ساعة ثم أتاني ومعه قارورة وثلاث قلائد فقال هذا طيب زودتناه ميّ وقلائد أتحفتك بها ابنـة الجودى فكنا نختلف اليها حتى انقضى المربع ودعانا الصيف فرحلوا قبلنا وأتاني ذوالرمة فقال قد ظعنت ميّ فلم يبق الا الديار والنظر الى الآثار فأخرج بنا الى دارها فخرجت معه حتى اذا وقفنا عليها أنشأ يقول

ألا فاسلَمي يا دارَ ميَّ على البِلَى ولا زالَ منهلاً بجرعائكِ القطرُ

حتى أتى على آخرها ثم انهملت عيناه بعبرة: فقلت له ماهذا فقال: إني لجليد وان كان مني ماترى فما رأيت أحداً أحسن شوقاً وصبابة وعزاء منه: وعن سليمان راوية أبي نواس: قال كنت مع أبي نواس أسير حتى انتهينا الى درب القراطيس فخرج من الدرب شيخ نصراني وخلفه غلام كأنه غصن بان يتثنى كأحسن مارأيت فقال ياسليمان أماترى الدرة خلف البعرة: ثم قال: هل لك أن تأخذ مني رقعة فتوصلها اليه قلت بلى فكتبها ودفعها اليّ فأوصلتها اليه فاذا أملح غلام وأخفه روحاً فقال من صاحب الرقعـة قلت أبو نواس: قال أين هو: قلت على باب درب القراطيس قال فلينتف مكانه حتى أروح وكان في الرقعة

تمرُّ فأستحييكَ أن أتكلّما ويثنيكَ زهوُ الحسنِ عن أن تُسلّما

ويهتزُّ في ثوبيكَ كلُّ عشيةٍ قضيبٌ من الريحانِ أضحى منعّما

فحسبُكَ أنَّ الجسمَ قد شفَّهُ الهوى وأنَّ جفوني فيكَ قد ذرفتْ دما

أليسَ عجيباً عندَ كلِّ موحِّدٍ غزالٌ مسيحيٌّ يعذِّبُ مُسْلِما

فلولا دخولُ النّارِ بعدَ تنصُّرٍ عبدتُ مكانَ اللهِ عيسى بنَ مريما

وحدثنا الجماز: قال كنت يوماً على باب عدى الدرّاع فمر بي أبونواس شبيهاً بالمجنون فاذا خلفه غلام كأنه مهر عربي فقلت له مالك فقال

إنَّ الرَّزِيَّةَ لا رَزِيَّةَ مثلُها عَوَزُ المكانِ وقدتهيّأ المَرْكَبُ

فعدلت به وبالغلام فأقاما سائر يومهما قال وكان عبيد الله بن يحيى يتعشق غلاماً من دار المتوكل يقال له رشيق فلا يصل اليه حتى طال ذلك عليه : وكان أبو الأخطل يخلفه فى المركب وينبسط اليه فقال له عبيد الله يوماً يا أبا الأخطل من لي برشيق فقال السفر الصفار والبيض الصحاح وجعل عبيد الله يأتي رشيقاً فى الدار فيخلو به ويساره يعطيه مائة دينار في كل لفية الى أن علم رشيق بما في نفس عبيد الله وكان يتعذر عليهما الاجتماع لقضاء الوطر واللذة: فركب أمير المؤمنين يوماً ومعه أبو الأخطل فطلب عبيدالله وتعمد أبو الأخطل رشيقاً فرده اليه فلما ظفر به فى منزله خاليا قضى حاجته منه وركب يريد أمير المؤمنين مسرعا فوصل الى الموكب وقد تصبب عرقا فقال أبو الأخطل

لا خيرَ عندِي في الخليـــلِ ينامُ عنْ سهرِ الخليلِ

قولوا لأكفرِ منْ رأيـــتُ لكلِّ معروفٍ جليلِ

هلْ تشكرَنَّ لي الغدا ةَ تلطُّفي لكَ في الرَّسولِ

إذْ نحنُ في صيدِ الجبا لِ وأنتَ في صيدِ السُّهولِ

﴿ ماقيل فيه من الشعر ﴾

وتمشَّيْتَ فى الجميلِ فأسرعـــتَ وإن كنتَ لستَ تأتي جميلا

إنَّ مَنْ مَدَّ للقيادةِ رِجلاً لَحَرِيٌّ بأنْ يكونَ نبيلا

آخر

لَهَـوَاهُ لِإِتلَافٍ ومِلَاهُ لِاختِلَافِ
لَيْسَ يَقرَا مِنْ كِتَابِ اللَّـهِ إِلَّا لِإِيلَافِ

وقال آخر

إِنَّ الرَّقَاشِيَّ مِنْ تَكَرُّمِهِ بَلَّغَهُ اللهُ مُنتَهَى هِمَمِهِ
يَبْلُغُ مِنْ بِرِّهِ ورَأْفَتِهِ حُمْلَانَ أُضيافِهِ عَلَى حُرَمِهِ

﴿ومن محاسن ذلك﴾ حدثنا عليّ بن الحسين بن عليّ بن عثمان بن عليّ بن الحسن قال كانت ضمير جارية مولدة لميمونة بنت الحسن بن عليّ بن زيد فأدبتها وعلمتها الغناء فبرعت فيه وكانت من أحسن الناس وجهاً وبدناً وأبرعهم غناء وضرباً فأعطيت بها مولاتها عشرة آلاف دينار فلما أرادت أن تبيعها وأحضر المال بكت وقالت ياسيدتي ربيتيني واتخذتيني ولداً ثم تريدين بيعي فأتغرب عنك ولا أرى وجهك قالت أشهد الله ومن حضر أنك حرة لوجه الله فلما ماتت ميمونة خطبها آل أبي طالب وغيرهم فغلب عليها جعفر بن حسن بن حسين فتزوجها وأحبها حباً شديداً فقدم بها البصرة فقال عليّ بن الحسين وكان يجالسها ويسمع غناءها فأردت الخروج الى الرضى بخراسان فودعت جعفراً وخرجت فأقمت بالاهواز أياماً أتهيأ للخروج على طريق فارس فورد عليّ كتاب جعفر أنه قد وقع بينه وبين ضمير شر وأنها قد أغلظت له حتى تناولها ضرباً وانها على مفارقته وسألني القدوم لأصلح بينهما فقال عليّ بن الحسين وكانت لي حاجة بالرضى وكنت أرجو لذلك في وجهي منه ومن المأمون الغنى فلما قرأت كتابه لم أعط صبراً حتى انصرفت راجعاً الى البصرة فجئت الي جعفر فأوقعت به شتما وعذلا ثم أرسلت اليها أقسمت عليك بحقي الا رجعت فخرجت مرهاء شعثة وسخة الثياب حتى جلست فجلست بينهما فأقبل جعفر يعطيني من نفسه لها كل ما أريد وهي ساكتة ثم قلت ياجارية هاتي العود فأخذته فأصلحت منه حتى تغنت وهي تبكي ودموعها تكبب

أَزْتَجِي خالقي وأَعلَمُ حقا أَنَّهُ ما يَشاءُ رَبي كَفاني
لا تَلُمْني وارْفُقْ خَليلي بِشاني إِنَّهُ ما عَناكَ يوْماً عَناني

قال عليّ بن الحسين فوالله مارأيت أحسن منها ولا أرق من غنائها بهذا الصوت فما برحت حتى اصطلحا وأهتنى والله عن الغنى فأقمت بالبصرة .. وعن الكلبي قال بينا عمر ابن أبي ربيعة يطوف بالبيت فى حال نسكه فاذا هو بشاب قد دنا من شابة ظاهرة الجمال فألقى اليها كلاماً فقال له عمر ياعدو الله في بلد الله الحرام وعند بيته تصنع هـذا فقال ياعماه انها ابنة عمى وأحب الناس اليّ وانى عندها لكذلك وماكان بينى وبينها من سوء قط أكثر مما رأيت قال ومن أنت قال أنا فلان بن فلان قال أفلا تتزوجها قال أبى عليّ أبوها قال ولم قال يقول ليس لك مال فقال انصرف والقنى فلقيـه بعد ذلك فدعى ببغلته فركبها ثم أتى عم الفتى فى منزله فخرج اليه فرحا بمجيئه ورحب وقرب فقال ما حاجتك ياأبا الخطاب قال لم أرك منذ أيام فاشتقت اليك قال فانزل فأنزله وألطفه فقال له عمر فى بعض حديثه إنى رأيت ابن أخيك فأعجبنى تحركه وما رأيت من جماله وشبابه قال له أجل مايغيب عنك أفضل مما رأيت قال فهل لك من ولد قال لا الا فلانة قال فما يمنعك أن تزوجه إياها قال إنه لامال له قال فان لم يكن له مال فلك مال قال فانى أضن به عنه قال لكنى لاأضن به عنه فزوجه واحتكم قال مائة دينار قال نعم فدفعها عنه وتزوجها الفتى وانصرف عمر الى منزله فقامت اليه جارية من جواريه فأخذت رداءه وألقى نفسه على فراشها وجعل يتقلب فأتته بطعام فلم يتعرض له فقالت أظنك والله قد وجدت بعض ماكان يعرض لك من حكم النساء فلا تكتمها فقال هاتي الدواة فكتب

تقولُ وَليـدَتى لمّا رَأَتْني طَرِبْتُ وكنتُ قدْ أَقْصَرتُ حينا
أَراكَ اليومَ قدْ أَحْدَثْتَ شوْقاً وهاجَ لكَ الهَوَى داءً دَفينا
وكنتَ زَعَمْتَ أَنَّكَ ذُو عَزاءٍ إذا ما شِئْتَ فارَقْتَ القَرينا
بِعَيْشِكَ هلْ أَتاكَ لها رَسولٌ يَسُرُّكَ أَمْ لَقيتَ لها خَدِينا

فقلتُ شكا إليَّ أخٌ مُحِبٌّ كبعضِ زمانِنا إذْ تعلمينا
وذُو القلبِ المُصابِ ولوْ تعزَّى مشوقٌ حينَ يلقي العاشقينا
فقصَّ عليَّ ما يلقى بهندٍ وأشبهَ ذاكَ ما كُنَّا لقينا
فكمْ منْ خُلَّةٍ أعرضتُ عنها وكنتُ بودِّها دهراً ضنينا
أردْتُ فراقَها فصبرْتُ عنها ولوْ جنَّ الفؤادُ بها جنونا

قال ٠٠ وقال عمر بن أبي ربيعة بينا أنا خارج محرما اذ أتتني جارية كأنها دمية في صفاء اللجين في ثوب قصب كقضيب على كثيب فسلمت عليَّ وقالت أنت عمر بن أبي ربيعة فتى قريش وشاعرها قلت أنا والله ذاك قالت فهل لك أن أريك أحسن الناس وجهاً قلت ومن لي بذلك قالت أنا والله لك بذلك على شريطة قلت وماهي قالت أعصبك وأربط عينيك وأقودك ليلا قلت لك ذاك قال فاستخرجت معجراً من قصب عجرتني به وقادتني حتى أتت بي مضرباً فلما توسطته فتحت العجارة عن عيني فاذا أنا بمضرب ديباج أبيض مزرر بحمرة مفروش بوشي كوفيٍّ وفي المضرب ستارة مضروبة من الديباج الأحمر عليها تماثيل ذهب ومن ورائها وجه لم أحسب أن الشمس وقعت على مثله حسناً وجمالا فقامت كالخجلة وقعدت قبالتي وسلمت عليَّ فخيل لي أن الشمس تطلع من جبينها وتغرب في شقائق خدها قالت أنت عمر بن أبي ربيعة فتى قريش وشاعرها قلت أنا ذلك يامنتهى الجمال قالت أنت القائل

بينما يَنعتُني أبصرْتُني دونَ قيدِ الميلِ يَعدُو بي الأغرّ
قالتِ الكبرَى أما تعرفنَ ذا قالتِ الوُسطَى بلَى هذا عُمَرْ
قالتِ الصغرَى وقدْ تيَّمتُها قدْ عرَفناهُ وهلْ يخفَى القمرْ

قلت أنا والله قائلها ياسيدتي قالت ومن هؤلاء قلت ياسيدتي والله ماهو عن قصد مني ولا في جارية بعينها ولكني رجل شاعر أحب الغزل وأقول في النساء قالت

ياعدو الله يافاضح الحرائر أنت قد فشا شعرك بالحجاز وأنشده الخليفة والامراء ولم يكن في جارية بعينها ياجوارى أخرجنه فخرجت الوصائف فأخرجني ودفعنى الى الجارية فعجرتنى وقادتني الى مضربى فبت بليلة كانت أطول من سنة فلما أصبحت بقيت هائماً لاأعقل ماأصنع فما زلت أرقب الوقت فلما كان وقت المساء جاءتني الجارية وسلمت عليّ وقالت ياعمر هل رأيت ذلك الوجه قلت أي والله قالت فتحب أن أريكه ثانية قلت اذا تكرمت فتكونين أعظم الناس عليّ منة فقالت على الشريطة فاستخرجت المعجر وعجرتنى وقادتني فلما توسطت المضرب فتحت العصابة عن وجهي فاذا أنا بمضرب ديباج أحمر مدنّر بياض مفروش بفرش أرمنيّ فقعدت على نمرقة من تلك النمارق فاذا أنا بالشمس الضاحية قد أقبلت من وراء الستر تتمايل من غير سكر فقعدت كالخجلة فسلمت عليّ وقالت أنت عمر بن أبي ربيعة فتى قريش وشاعرها قلت أنا ذاك قالت أنت القائل

وناهِدَةِ الثَّدْيَيْنِ قلتُ لها اتَّكي ... على الرَّمْلِ في دَيْمومةٍ لمْ تَوَسَّدِ
فقالتْ على اسْمِ اللهِ أمْرُكَ طاعةٌ ... وإنْ كنتُ قدْ كُلِّفْتُ مالمْ أُعَوَّدِ
فما زِلْتُ في ليْلٍ طويلٍ مُلثِّماً ... لذَيذَ رُضابِ المِسْكِ كالمُتَشهِّدِ
فلمّادَنا الإصْباحُ قالتْ فضَحْتَنى ... فقُمْ غيرَ مَطرُودٍ وإنْ شِئْتَ فازْدَدِ
فما ازْدَدْتُ منها واتَّشَحْتُ بِمِرْطِها ... وقلتُ لعينيَّ اسْفَحا الدَّمْعَ من غَدِ
فقامتْ تُعَفِّي بالرِّداءِ مكانَها ... وتَطْلُبُ شَذْرًا من جُمانٍ مُبدَّدِ

قلت أنا قائلها قالت فمن الناهدة الثديين قلت ياسيدتى قد سبق في الليلة الأولى والله ماهو مني قصد ولا في جارية بعينها ولكنى رجل شاعر أحب الغزل وأقول في النساء قالت ياعدو الله أنت قد فشا شعرك بالحجاز ورواه الخليفة وتزعم أنه لم يكن في جارية بعينها ياجوارى ادفعنه فوثبت الجوارى فأخرجنى ودفعنى الى الجارية فعجرتني وقادتني الى مضربى فبت فى ليلة كانت أطول من الليلة الأولى فلما أصبحت أمرت بخلوق فضرب لي وبقيت أرقب الوقت هائماً فلما كان وقت المساء جاءتنى الجارية فسلمت عليّ وقالت

ياعمر هل رأيت ذلك الوجه قلت أي والله قالت أفتحب أن أريكه الثانية قلت اذاً تكونين أعظم الناس عليّ منة قالت على الشريطة قلت نعم فاستخرجت المعجر وعجرتني به وقادتني حتى أتت بي المضرب فلما توسطته فتحت العصابة عن عينيّ فاذا أنا فى مضرب ديباج أخضر مدثر بحمرة مفروش بخز أحمر واذا أنا بالشمس الضاحية قد أقبلت من وراء الستر كور الجمان فسلمت عليّ وقلت أنت عمر بن أبي ربيعة فتى قريش وشاعرها قلت أنا ذاك قالت أنت القائل

نَعَبَ الغُرَابُ بِبَيْنِ ذاتِ الدُّمْلُجِ ... لَيتَ الغُرَابَ بِبَيْنِها لَمْ يَشْجَجِ
ما زِلْتُ أَتْبَعُهُمْ وأَتبَعُ عِيسَهُمْ ... حَتَّى دُفِعْتُ إلى رَبِيبَةِ هَوْدَجِ
قالتْ وعيشِ أَخِي وحُرْمَةِ والدِي ... لأُنَبِّهَنَّ الحَيَّ إنْ لَمْ تَخْرُجِ
فَشَمَمْتُ فاها آخِذًا بِقُرُونِها ... شُرْبَ النَّزِيفِ بِبَرْدِ ماءِ الحَشْرَجِ
فَتَناوَلَتْ كَفِّي لِتَعرِفَ مَسَّها ... بِمُخَضَّبِ الأَطْرافِ غيرِ مُشَنَّجِ

قلت أنا قائلها ، قالت : ياعدو الله أنت الذي فضحتها ونفسك وجهي من وجهك حرام ان عدت اليّ ياجوارى أخرجنه فوثب اليّ الوصائف وأخرجنني ودفعنني الي الجارية فعجرتني وقادتني وقد كنت عند خروجي من مضربي ضربت يدى بالخلوق وأسدلت عليها ردائي فلما صرت الى باب مضربها أخرجت يدى ووضعتها على جانب المضرب وضعا بينا فلما أصبحت صحت بغلماني وعبيدي ولي ألف عبد من أتاني بخبر المضرب الذى ضرب فيه بكذا وكذا فهو حر لوجه الله فلما كان فى وقت المساء أتتني وليدة سوداء ، فقالت : قد عرفت المضرب وهو لرملة أخت عبد الملك بن مروان فأعتقتها وأمرت لها بمائتي دينار وأمرت بمضربي فقلع وضرب بحذاء مضربها وكتب بالخبر الى عبد الملك بن مروان فكتب اليها بالرحيل فركبت هودجها وركبت فرسي فزاحمتها فى بعض الطريق فأشرفت عليّ من هودجها ، فقالت : اليك عني أيها الرجل ، قلت : خاتم أو قميص اذكرك به ، فقالت : لبعض جواريها ألقي اليه قميصا من قمصي فأخذته

وأنا أقول

فلا وأبيكَ ما صوتُ الغواني ... ولا شُرْبُ التي هيَ كالفصوصِ
أَرَدْتُ برِحْلتي وأُريدُ حظًّا ... ولا أكلَ الدَّجاجِ ولا الخُبيصِ
قميصٌ ما يُفارقُني حياتي ... أَنيسٌ في المُقامِ وفي الشُّخُوصِ

وجعلت أنزل بنزولها وأركب بركوبها حتى كنا من الشام على ثلاث مراحل فاستقبلها عبد الملك فى خاصته فدخل اليها ، ثم قال : يارملة ألم أنهك أن تطوفى بالبيت الا ليلا يحفك الجواري ويخف الجوارى الخدم ويخف الخدم الوكلاء لئلا يراك عمر بن أبي ربيعة ، قالت والله وحياة أمير المؤمنين ما رآني ساعة قط فخرج من عندها فبصر بضربى ، فقال : لمن المضرب قيل لعمر بن أبى ربيعة ، قال : علىّ به فأتيته بلا رداء ولا حذاء فدخلت عليه وسلمت عليه فقال ياعمر ماحملك على الخروج من الحجاز من غير إذنى ، قلت : شوقا اليك يا أمير المؤمنين وصبابة الى رؤيتك فاطرق مليا ينكت فى الأرض بيده ثم رفع رأسه فقال ياعمر هل لك فى واحدة ، قلت : وماهي ياأمير المؤمنين قال رملة أزوجكها . قلت : ياأمير المؤمنين وان هذا لكائن ، قال : أي ورب السماء ثم قال قد زوجتك فادخل اليها من غير أن تعلم فدخلت عليها فقالت من أنت هبلتك أمك ففلت ياسيدتي أنا المعذب فى الثلاث فارتحلت وأنا عديلها فانشأت أقول

لَعَمْرِي لقد نِلْتُ الذي كنتُ أرتجي ... وأصبحتُ لا أخشى الذي كنتُ أحذرُ
فليسَ كمثلي اليومَ كِسرَى وهُرْمُزٌ ... ولا المَلِكُ النُّعمانُ مثلي وقيصرُ

فلم أزل معها بأحسن عيش وغبطة

* * *

محاسن الريب

الأصمعي ، قال : أخبرنى رجل من بنى أسد أنه خرج فى طلب ابل قد ضلت

فبينا هو يسير فى بلاء وتعب وقدأمسى فى عشية باردة اذرفعت له أعلام ، قال : فقصدت بيتا منها فاذا أنا بامرأة جميلة ذات جزالة فسلمت فردت عليّ السلام ، ثم قالت : ادخل فدخلت فبسطت لي ومهدت واذا في حجرها صبي أطيب ما يكون من الولدان فبينا هي تقبله اذ أقبل رجل أمام الابل دميم المنظر ضئيل الجسم كأنه بعرة دمامة واحتقاراً فلما بصر به الصبي هش اليه وعدا فى تلقائه فاحتمله وجعل يقبله ويفديه ، فقلت : في نفسي أظنه عبداً لها فجاءنى ووقف بباب الخيمة وسلم فرددت عليه السلام ، فقال : من ضيفكم هذا فأخبرته فجلس الى جانبها وجعل يداعبها فطفقت أنظر اليها تارة واليه أخرى أتعجب من اختلافهما كأنها الشمس حسنا وكأنه القرد قبحاً فقطن لنظرى ، وقال : يا أخا بني أسد أترى عجبا ، قل : تقول أحسن الناس وجهاً وأقبح الناس وجهاً فليت شعرى كيف جمع بينهما أخبرك كيف كان ذلك ، قلت ماأحوجني الى ذلك ، قال : كنت سابع اخوتى كلهم لو رأيتني معهم ظننتني عبداً لهم وكان أبي واخوتى كلهم أصحاب إبل وخيل وكنت من بينهم مطروحا لكل عمل دنيّ للعبودية تارة ولرعي الابل أخرى فبينا أنا ذات يوم تعب مكتئب اذ ضلّت لنا بعير فتوجه اخوتى كلهم فى بغائه فلم يقدروا عليه فأتوا أبي وقالوا ابعث فلانا ينشد لنا هذا البعير فدعانى أبي وقال اخرج فانشد هذا البعير ، فقلت : والله ماأنصفتنى ولا بنوك أما اذا الابل درت ألبانها وطاب ركوبها فأنتم جماعة أهل البيت أربابها واذا ندّت ضلالها فأنا باغيها ، فقال قم يالكع فاني أراه آخر يومك فغدوت مقهوراً خلق الثياب حتى أتيت بلاداً لا أنيس بها فطفقت يومي ذلك أجول القفر فلما أمسيت رفعت لي أبيات فقصدت أعظم بيت منها فاذا امرأة جميلة مخيلة للسؤدد والجزالة فبدأتنى بالتحية وقالت انزل عن الفرس وأرح نفسك فأتتنى بعشاء فتعيشت وأقبلت هذه تسخر منى وتقول مارأيت كالعشية أطيب ريحاً منك ولا أنظف ثوبا ولا أجمل وجها ، فقلت : ياهذه دعيني وما أنا فيه فانى عنك في شغل شاغل فأبت عليّ ، وقالت هل لك أن تلج عليّ السجف اذا نام الناس فأغرانى والله الشيطان فلما شبعت من القرى وجاء أبوها واخوتها فضجعوا أمام الخيمة قمت ووكزته برجلى ، قالت ومن أنت ، قلت الضيف ، قالت لا حياك الله اخرج عليك لعنة الله فعلمت أني لست

فى شيء من أمرها فوليت راجعا فوا ثبني كلب لهم كانه السبع لا يطاق فأراد أكلي فأنشب أنيابه في مدرعة صوف كانت عليّ وجعل يمزقني فردّني القهقرى وتعذر عليّ الخلاص فأهويت أنا والكلب من قبل عقبي في بئر فأحسن الله اليّ أنه لا ماء فيها فلما سمعت المرأة الواغية أتت بحبل فأدلته وقالت ارتق لعنك الله فوالله لولا أنه يقتص أثري غداً لوددت أنها قبرك فاعتنقت الحبل فلما كدت أن أتناول يدها قضى أن تهوّر ما تحت قدميها فاذا أنا وهي والكلب في قرار البئر بئر أيما بئر انما هي حفرة لاطيّ لها ولا مرقاة كأشد بلية بنا عضا الكلب ينبح من ناحية وهي تدعى بالويل والثبور من ناحية وأنا منقبع قد برد جلدي على القتل من ناحية فلما أصبحت أمها فقدتها فلما لم ترها أتت أباها فقالت ياشيخ أتعلم أن ابنتك ليس لها أثر يحس وكان أبوها عالماً بالآثار تابعاً لها فلما وقف على شفير البئر ولي راجعاً فقال لولده يابنيّ أتعلمون أن أختكم وضيفكم وكلبكم في البئر فبادروا كالسباع فمن بين آخذ حجراً وآخر سيفاً أوعصا وهم يومئذ يريدون أن يجعلوا البئر قبرى وقبرها فلما وقفوا على شفير البئر قال أبوهم ان قتلتم هذا الرجل طولبتم بدمه وان تركتموه افتضحتم وقد رأيت أن أزوجها اياه فوالله مايقدح لها فى نسب ولا في حسب ثم قال لي أفيك خير فلما شممت روح الحياة وثاب اليّ عقلى ، قلت : وهل الخير كله الا فيّ فهات احتكم ، فقال : مائة بكرة وبكرة وجارية وعبد ، فقلت لك ذلك وان شئت فازدد فأخرجت أولا والكلب ثانياً وأخرجت ثالثاً فأتيت أبى ، فقال لا : أفلحت فأين البعير ، قلت أربع عليك أيها الشيخ فانه كان من القصة كيت وكيت . قال افعل والله ولا أخذلك فدعا بالابل فأعدّ منها مائة بكرة وبكرة وسقناها مع جارية وعبد وأخذت منه هذه غرة نفسها ، قال هي والله كذلك وجعلت تصدف عن حديث زوجها صدوف المهرة العربية سمعت لجامها وربما قالت لا أطاب الله خبرك

ضده مساوى الريب

قال وقيل لخراش الاعرابى حدثنا ببعض هناتك ، قال : خرجت في بغاء ذود لي فدفعت فى عشية شاتية الى أخبية كثيرة فضافوا وحيوا ورحبوا فلما أردت النوم أقاموا فتاة لهم من موضع مبيتها وجعلوني مكانها لئلا أتأذى بالغنم وانى لمضطجع اذا أنا بيد انسان يجامشني ويريد فى الظلمة مؤاتاتي فتعدت فاذا أنا برجل يمد يده ومعه علبة فيها أرنب مشوية فأخذتها وجعلتها فى شئ كان معي ثم مد يده ثانياً فناولنه يدى فأقبضني على غرمول كمثل الوتد فلم أنفر منه ولم أره وحشة وجردت ماعندى وتناولت يده فأقبضته على مثل ماأقبضنى عليه ففطن ورمى بملحفة خز كانت عليه ووثب مذعوراً فنفرت الابل وهاجت الغنم وكدت أغشى لما بي من الضحك وأخفيت مابى وكتمته فلما أصبحت ركبت راحلتي ومعى الملحفة والعلبة والأرنب فلما امتد الضحى اذا أنا بابل فأخذت نحوها فاذا شاب حسن الهيئة فسلمت فرد السلام ثم قال ان كان معك مانأكل نصب من هذا الوطب فأخرجت العلبة فلما رآها عرفها وقال انك هو ، قلت وما هو ، قال صاحب البارحة ، قلت نعم ان كنت إياه ، قال الحمد لله الذى أتى بك لو لم تأت لظننت انى أوسوس وذلك انى لصاحبة الستر عاشق وتعلم مافعلت وفعلت البارحة ولا تطيقت له حتى ابتلانى الله بك البارحة وجعلت أقول حين أقبضتني عليه أراها تحولت رجلا وانى لفي شك من أمرى حتي أتانى الله بك: فأكلت أنا وهو الأرنب وشربنا من اللبن وصرنا أصدقاء: الاصمعى ، قال أتى خالد بن عبد الله اعرابى فأضافه وأحسن اليه وبذل له صحن الدار فلما كان فى بعض الليل أشرف عليه يتعاهد منه ما كان يتعاهد من ضيفه فاذا هو قد دب على جارية وهو على بطنها فأعرض عنه فما لبث الاعرابى ان فرغ وقام يمسح فيشلته بالحائط فضربته عقرب فصاح واستغاث وأشرف خالد عليه وهو يقول

وداري إذَا نامَ سُكَّانُها ... تُقيمُ الحُدُودَ بها العقْرَبُ

إذا غفلَ النَّاسُ عن دِينهِمْ ... فإنَّ عقارِبَنا تَغضَبُ

قال وكان اعرابي ضيفاً لقوم فنظر الى جارية جميلة فدب اليها فاذا عجوز فى صحن الدار تصلى فعاد الى فراشه ثم عاودها فنبح الكلب ثم عاد اليها فاذا القمر قد طلع فأنشأ يقول

لمْ يخلُقِ اللهُ خلقاً كنتُ أكرهُهُ ... إلاَّ العجوزَ وعينَ الكلبِ والقمرِ
هذا يَصيحُ وهذا يُستضاءُ بهِ ... وهذهِ شيخةٌ قوّامةُ السَّحرِ

وقال وشرب سعيد بن حميد البصرى عند راشد فدب على غلامه فكتب اليه سعيد

ما سمعْنا منْ قبلها بأديبٍ ... بارعِ الظُّرفِ ماجدٍ قمقامِ
ضلَّ عنهُ وهوَ المُهذَّبُ علماً ... فتكاتُ الكؤوسِ بالأحلامِ
أينَ ما جاءَ منْ حديثِ رسولِ اللـ ... ـهِ مولايَ سيّدِ الحكّامِ
ما علي مُثقلٍ منَ النَّومِ والسَّكـ ... ـرانِ عيبٌ فيما أتى منْ أثامِ
ثمَّ أينَ الذي بهِ حكمَ المأْ ... مونُ فى الظُّرفِ منهُ والإسلامِ
أيُّما ماجدٍ أرادَ سُروراً ... باجتماعٍ منْ معشرِ النُّدَّامِ
فعليهِ طيُّ البساطِ بما قدْ ... سنَّهُ السكرُ منْ قبيحٍ وذامِ
خلْتَ بيني وبينَ عقلي بأرطا ... لكَ والمُترعاتِ منْ كلِّ عامِ
ثمَّ وكَّلْتَ في العُسوفِ رشيقاً ... فسقاني بطرْفهِ والمُدامِ
ثمَّ باكرْتني بعتْبكَ واللو ... مِ لقدْ حدْتَ عنْ سبيلِ الكرامِ
وتغضَّبْتَ أنَّني قُدْتُ عمْرًا ... ثمَّ ثنَّيتُ بعدَهُ بغرامِ
هلْ رأيتَ الإلهَ يأخذُ مجنو ... ناً بسكْرٍ أو حالماً فى منامِ
لنْ ترانى معاشراً لكَ ما عشـ ... ـتَ ولوْ دُمْتَ عائشاً ألفَ عامِ

أو تُرَى تائباً وتَسْتَغفِرَ اللـــهَ لِمَا كانَ مِنْ شَنيعِ الكَلامِ

فأجابه راشد فقال

يا أبا جَعْفرٍ سَليلَ المَعالي ونَجيبَ الأَخوالِ والأَعْمامِ
إنْ يكنْ قد أَتاكَ عنّيَ مَزْحٌ لم يَكُنْ عن حقيقةٍ في الكَلامِ
أَو أَكُنْ فيهِ كالّذي كانَ يَغْدُو بمَلامٍ عليكَ في اللُّوّامِ
إنني عالِمٌ بأَنّكَ لمْ تأْ تِ قبيحاً ولا ارْتكابِ الإِثامِ
هوَ ذنبُ المُدامِ لا ذنبُ خِلٍّ لمْ يَزَلْ حافظاً لعَهْدِ الذِّمامِ
ثمَّ ذنبُ العُيونِ يا ابنَ حَميدٍ فلهُ الذَّنْبُ بَعْدَ إِسْتِ غرامِ
قَعَدَا في طريقِ أَيرِكَ حتّى عرَّضاهُ للظَّنِّ والإِتّهامِ
فتَغمَّدْ أَخاكَ بالصَّفْحِ فالصفـــحُ دَليلٌ على سَجايا الكِرامِ
إنّني تائبٌ وأَسْتَغفِرُ اللـــهَ لِمَا كانَ مِنْ شَنيعِ الكَلامِ

ماقيل في ذلك من الشعر

فما أَعيُنٌ عَشْرٌ على ساقِ نَرْجَسٍ تُضاحِكُ عينَ الشَّمْسِ بالمُقَلِ الصُّفْرِ
بأَحسَنَ مِمَّنْ زارَني بعدَ هَجعةٍ يَميسُ هُوَيناً في الظَّلامِ على ذُعْرِ

قال ودب رجل على قينة في مجلس فغنت

ما ذا يُشَوِّشُ طُرَّتي ياقومِ في وَقْتِ السَّحَرْ
ما ذا يُعالِجُ تِكَّتي وَيلاهُ عَذَّبَني السَّهَرْ

وقال علّيّ بن حمزة

مُتَوَرِّدُ الخَدَّينِ مِنْ خَجَلٍ مُتَخاذِلُ الأَعضاءِ مِنْ كَسَلِ

خاضَ الدُّجا والشَّوْقُ يَحمِلُهُ وأتاكَ يَمشي غيرَ مُنتعِلِ
ما راعني إلاَّ تَدَافُعُـــهُ كالغصنِ بينَ الصَّدْرِ والكَفَلِ

وقال عمر بن أبي ربيعة المخزومي

قالتْ وأبْثَثْتُها سِرّي وبُحْتُ بهِ قد كُنتَ عندِي تحبُّ السَّترَ فاستتِرِ
ألسْتَ تُبْصِرُ مَنْ حولي فقلتُ لها غَطَّى هَوَاكِ وما ألقى على بَصَرِي

* * *

محاسن الباه

حكى عن عالج جارية مكشوح أنها حدثت مولاتها أنها كانت تغتسل كل يوم فسألتها عن ذلك ، فقالت ياهذه أنه يجب على المرأة ما يجب على الرجل بعد احتلامه ، قالت أو تحتلمين ، قالت إنه لاتأتي عليّ ليلة لا أجامع فيها الا وأحتلم ، قالت فكيف يكون ذلك قالت أرى كأن رجلا جامعني ولقدرأيت ليلة كأني مررت بدكان أبي مالك الطحان وبغل له واقف قد أدلى ورماني تحته وأولجه فاحتلمت ثم انتبهت وأنا أجد معكة في مراقّ بطني ولذة في سويداء قلبي وكان هذا البغل اذا أدلى حك الارض برأس أيره وضرب به فى بطنه فترى الغبار يتطاير عن يمينه وشماله ، قال وكانت مهدية بنت جبير التغلبية تقول مافى بطن الرجل بضعة أحب الى المرأة من بضعة تناط بعقد الحالبين ومنفرج الرجلين: حدثني جهم ، قال قلت لامرأة من كلب ماأحب الأشياء من الرجال الى النساء قالت مايكثر الاعداد ويزيد فى الاولاد حربة في غلاف تناط بحقوي رجل جاف اذا غافس أوهى واذا جامع أنجى ، قال وقال أبو ثمامة لامرأة من زبيد وهي تبكي عند قبر من الميت قالت كان يجمع بين حاجبي والساق ويهزني هز الصارم الاعناق ووالله لولا ما ذكرته لك ماانتهلت بالدموع عيناي وقد كذبتك امرأة تبكي على زوجها لغير ما أعلمتك .. قال وركب الرشيد حماراً مصرياً وطاف على جواريه، فقالت له واحدة يامولاي ما أكثر

ماتركب هذا الحمار ، قال لانه يسبُ طيفور ، قالت فمن يَسبُ طيفور يركب ، قال نعم قالت ففي حرِ أمّ طيفور ، قال فنزل وواقعها وأنشد في مثله

نَظرْتُ إليها حينَ مرَّتْ كأنَّها ... على ظَهْرِ عادِيٍّ فتاةٌ منَ الجنِّ

ولي نَظرٌ لوْ كانَ يُحْبَلُ ناظرٌ ... بنَظْرَتِهِ انثى لقدْ حبلتْ منّى

صدره في مساوى العين

قال بعضهم تزوج العجاج امرأة يقال لها الدهناء بنت مسحل فلم يقدر عليها فشكت ذلك الى أهلها فسألوه فراقها فأبى وقال لأبيها تطلب لابنتك الباه ، قال نعم عسى أن ترزق ولداً فان مات كان فرطاً وان عاش كان قرة عين فقدموه الى السلطان فأجله شهراً ثم قال

قدْ ظنَّتِ الدَّهْنا وظَنَّ مِسْحَلُ ... أنَّ الأَميرَ بالقضاءِ يُعْجِلُ

عَنْ كَسَلاتي والحُصانُ يُكْسَلُ ... عنِ السِّفادِ وهوَ طَرْفٌ هَيْكَلُ

ثم أقبل على امرأته فضمها الى صدره فقالت

تنحَّ لنْ تملكني بضمِّ ... ولا بتقبيلٍ ولا بشمِّ

إلاَّ بزَعزاعٍ يُسلّي همّي ... يَسقُطُ منهُ فتخى في كمّي

يَطيرُ منهُ حزَني وغمّي

ابن أبي الدنيا أن اعرابياً أخبره أن امرأة منهم زفت الى رجل فعجز عنها فتذاكر الحي أمر الضعفاء من الأزواج عن الباه وامرأة الاعرابي تسمع فتكلمت بكلام ليس في الأرض أعف منه ولا أدل على عجز الرجل عن النساء فقالت متمثلة

تَبيتُ المَطايا حائداتٍ عنِ الهُدَى ... إذا ما المَطايا لمْ تَجِدْ مَنْ يُقيمُها

الرقاشي ،، قال حدثني أبو عبيدة قال سمعت ناساً من الحجاز يقولون تزوج رجل منا امرأة فعجز عنها الا أنه اذا لامسها ابتأر فيها فقضى أن حملت وما مكثت الا أن رأس ولدها فجلس فى المجلس فقال له قائل لقد جئت من بلل قليل ، قال جئت من بلل لو أصاب مغيض أمك لكان كما قال الشاعر

رَطْبُ الطِّباعِ إذا حرّكْتَ جوهرَهُ ... وَجَدْتَ أعضاءَهُ غُرْقَى من البَلَلِ

ولمْ أُهَجِّنْهُ إلاَّ أنّهُ رَجُلٌ ... قَلَّتْ سَلامَتُهُ منْ جانبِ الكَفَلِ

الهلالي ،، قال رأيت وافر بن عصام يساير المهدي فحدثه بحديث فضحك ، فقلت له حدثني ما حدثت به المهدى ، قال سألني ماعندك للنساء ، فقلت ماهن عندى الاحديث ابن حزم ، قال وما حديثه ، قلت عُمِّرَ حتى بلغ الثمانين فتزوج ابنة عم له فلما أهديت اليه قعد بين شقيها فأكسل وأراق على بطنها فأقبل عليها كالمعتذر ، فقال هـذا خير من الزناء ، قالت كل ذلك لاخير فيه ، قال وشكت امرأة زوجها وأخبرت عن عجزه أنه اذا سقط عليها انطبق والنساء يكرهن وقوع الرجل على صدورهن فقالت زوجي عياياه طباقاء وكل داء له داء وقيل فى ذلك

جزاكَ اللهُ شرًّا من رفيقٍ ... إذا بُلِّغْتَ من رَكْبِ النِّساءِ

رَماكَ اللهُ من عَرَقٍ بأَفعي ... ولا عافاكَ من جَهْدِ البلاءِ

أجُبْنًا فى الكريهةِ حينَ تلقى ... ونَعْظًا حينَ تَغْبُرُ فى الخلاءِ

محاسن النيروز والمهرجان

قال الكسروي كان أول من أبدع النيروز وأسس منازل الملوك وشيد معالم السلطان واستخرج الفضة والذهب والمعدن واتخذ من الحديد آلات وذلل الخيل وسائر الدواب

واستخرج الدر وجلب المسك والعنبر وسائر الطيب وبنى القصور واتخذ المصانع وأجرى الأنهار كيا خسرو بن أبرويز جهان وتفسيره حافظ الدنيا ابن ارخشد بن سام بن نوح عليه السلام وكان الأصل فيه أنه في النيروز ملك الدنيا وعمر أقاليم إيران شهر وهي أرض بابل فيكون النيروز فى أول ما اجتمع ملكه واستوت أسبابه فصارت سنة وكان في ملكه ألف سنة وخمسين سنة ثم قتله البيوراسف وملك بعده ألف سنة الى أفريدون ابن أثفيان وفيه يقول حبيب

وَكَأَنَّهُ الضَّحَّاكُ في فتكاتِهِ ... بالعالَمينَ وأَنْتَ أَفْرِيدُونُ

فطلب البيوراسف وملك بعده ألف سنة وخمسين سنة وأسره بأرض المغرب وكبله وسجنه بجبل دنباوند واستوفى عدة ما كتب الله له من عمره واتفق لافريدون سجن البيوراسف يوم النصف من مهرماه ومهرروز فسمي ذلك اليوم المهرجان فالنيروز يوم والمهرجان لافريدون والنيروز أقدم من المهرجان بألفي وخمسين سنة وقسم جم أيام الشهر وجعل الخمسة الأيام الأولى للأشراف وبعدها خمسة أيام نيروز الملك يهب فيها ويصل ثم بعدها خمسة أيام لخدم الملك وخمسة أيام لخواص الملك وخمسة لجنده وبعدها خمسة أيام للرعاع فذلك ثلاثون يوماً وابتدع المهرجان أفريدون لما أسر البيوراسف روزمهر وكان الملك اذا لبس زينته ولزم مجلسه في هذين اليومين أتاه رجل رضيّ الاسم مختبر باليمن طلق الوجه ذلق اللسان فيقوم قبالة الملك ويقول أنذني بالدخول فيسأله من أنت ومن أين جئت وأين تريد ومن سار بك ومع من قدمت وما الذى معك فيقول جئت من عند الأيمنين وأريد الأسعدين وسار بى كل منصور واسمى خجسته أقبلت مع السنة الجديدة وأوردت الى الملك بشارة وسلاماً ورسالة فيقول الملك أنذنوا له فيقول له الملك أدخل ويضع بين يديه خواناً من فضة قد جمع فى نواحيه أرغفة قد خبزت من أنواع الحبوب من البر والشعير والدخن والذرة والحمص والعدس والأرز والسمسم والباقلى واللوبيا وجمع من كل صنف من هذه الحبوب سبع حبات فجعل في جوانب الخوان ووضع في وسطه سبعة من قضبان الشجر التي يتفاءل بها وباسمها

ويتبرك بالنظر اليها كالخلاف والزيتون والسفرجل والرمان منها مايقطع على عقدة ومنها على عقدتين ومنها على ثلاثة ويجعل كل قضيب باسم كورة من الكور ويكتب في مواضع ابزود وابزائد وابزون وبروار وفراخي وفراهيه تأويله زاد ويزيد وزيادة ورزق وفرح وسعة ويوضع سبع سكرّجات بيض ودراهم بيض من ضرب سنته ودينار جديد وضغث من أسبند ويتناول ذلك كله ويدعوا له بالخلود ودوام الملك والسعادة والعز ولا يؤامر يومه في شئ اشفاقاً من أن يبدو منه ما يكره فجرى على سنته وكان أول مايقدم اليه صينية ذهب أو فضة عليها سكر أبيض وجوز هندي مقشر رطب وجامات فضة أو ذهب ويبتدئ باللبن الحليب الطري منه قد أنقع فيه تمرطري فيتناول بالنارجيل تميرات ويتحف من أحب منه ويذوق ما أحب من الحلوى وكان يرفع في كل يوم من أيام النيروز باز أبيض وكان ممن يتيمن بابتدائه في هذا اليوم لقمة من اللبن الضرف الطري والجبن الطري وكان جميع ملوك فارس يتبركون بذلك وكان يسرق له في كل يوم نيروز ماء في جرة من حديد أو فضة ويقول استرق هذا الأسعدين ويتحمل الأيمنين وجعل في عنق الجرة قلادة من ياقيت خضر منظمة في سلك الذهب ممدود فيها خرز من زبرجد أخضر ولم يكن يسرق ذلك الماء الا الأبكار من أسافل دارات الأرحاء وصنائع الغنى فكان متى اجتمع النيروز في يوم سبت أمر الملك لرأس الجالوت بأربعة آلاف درهم ولم يعرف له سبب أكثر من أن السنّة جرت منهم بذلك فصارت كالجزية فكان يبنى قبل النيروز بخمسة وعشرين يوماً في صحن دار الملك اثنتا عشرة اصطوانة من لبن تزرع اصطوانة منها براً واصطوانة شعيراً وأخرى أرزاً وأخرى عدساً وأخرى باقلى وأخرى قرطماً وأخرى دخنا وأخرى ذرة وأخرى لوبيا وأخرى حمصاً وأخرى سمسما وأخرى ماشاً ولم يكن يحصد ذلك الا بغناء وترنم ولهو وكان يوم السادس من يوم النيروز واذا حصد نثر في المجلس ولم يكسر الى روزمهر من ماه فروردين وانما كانوا يزرعون هذه الحبوب للتفاؤل بها ويقال أجودها نباتاً وأشدها استواء دليل على جودة نبات مازرع منها في تلك السنة فكان الملك يتبرك بالنظر الى نبات الشعير خاصة وكان مؤدب الرماة يناول الملك يوم النيروز قوساً وخمس نشابات ويناول الملك قيمه على دار المملكة أترجّه

فكان فيما يغني بين يدي الملك غناء المخاطبة وأغاني الربيع وأغانى يذكر فيها أبناء الجبابرة وتوصف الأنواء وأغانى أفرين والخسروانى والماذراستانى والفهابذ وكان أكثر مايغنى العجم الفهابذ مع أيام كسرى أبرويز وكان من أهل مرو وكان من أغانيه مديح الملك وذكر أيامه ومجالسه وفتوحه وذلك بمنزلة الشعر في كلام العرب يصوغ له الألحان ولا يمضي يوم الا وله فيه شعر جديد وضرب بديع وكان يذكر الأغانى التى يستعطف بها الملك ويستميحه لمرازبته وقواده ويستشفع للمذنب وان حدثت حادثة أو ورد خبر كرهوا انهاءه اليه قال فيه شعراً وصاغ له لحناً كما كان فعل حين نفق مركوبه شبديز ولم يجسروا على انهاء ذلك ففنى بها وذكر أنه ممدود في آريّه مادّ قوائمه لايعتانف ولا يتحرك فقال الملك هذا قد نفق اذاً قال أنت قلت ذلك أيها الملك وكان يضطر بأشعاره أن يتكلم بالذي يكره عماله أن يستقبلوه به

﴿ العلة فى صب الماء ﴾ ذكروا أن العلة في صب الماء أنه كان أول من تكلم في المهد قبل المسيح زوبن طهماسب وكان مات أبوه على قحط شديد قد شمل الأقاليم فتكلم ودعا الله تبارك وتعالى فسقى الناس الغيث وأخصبت أرضهم وعاشت مواشيهم فجعلوا صب الماء فيه سنة ،،وقد حكى أيضاً عن أبى جعفر محمد بن علىّ بن الحسين صلوات الله عليه أنه قال في ذلك أن ناساً من بنى اسرائيل أصابهم الطاعون فخرجوا من مدينتهم هاربين الى أرض العراق فبلغ كسرى خبرهم فأمر أن يبنى لهم حظيرة يجعلون فيها لترجع أنفسهم اليهم فلما صاروا فى الحظيرة ماتوا وكانوا أربعة آلاف نفس ثم ان الله تبارك وتعالى أوحى الى نبي ذلك الزمان ان رأيت محاربة بلاد كذا فحاربهم ببنى فلان فقال يارب كيف أحاربهم بهم وقد ماتوا فأوحى الله اليه أنى أحييهم لتحارب بهم وتظفر بعدوك فأمطر الله عز وجل ليلة صب الماء فأصبحوا أحياء فهم الذين قال الله تعالى فيهم ﴿ ألم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم ﴾ قال هؤلاء قوم أصابهم محنة من الأزل فحطوا زماناً فهزلوا وأجدب بلدهم فغيثوا فى هذا اليوم برشة من مطر فعاشوا وأخصبت بلادهم فجعله الفرس سنة

﴿صفة الأيام﴾ قال كسري يوم الريح للنوم ويوم الغيم للصيد ويوم المطر للهو والشرب ،،وقال

غيره يوم السبت يوم مكر وخديعة والأحد يوم غرس وبناء ويوم الاثنين يوم سفر وطلب رزق والثلاثاء يوم حجامة والأربعاء يوم ضنك ونحس والخميس يوم الحج والجمعة يوم مسجد ونساء وكساء

﴿ في البرد ﴾ سئل بعض الحكماء عن البرد إيه أشد ، فقال اذا أصبحت السماء نقية والأرض ندية والريح شامية

محاسن الهدايا

قال وكتب الناس في الهدايا فأكثروا من الكلام المنثور والشعر الموزون وكل يكتب ويقول بمقدار عقله وعلمه حتى قالوا أنها قرابة وصلة كالرحم الماسة والقرابة القريبة وكلحمة النسب وأكثروا من الشفيع لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم تهادَوا وتحابوا ، وقيل الهدية تفتح الباب المصمت وتسل سخيمة القلب وروي عن عائشة أنها قالت اللطفة عطفة وتزرع في القلوب المحبة ، قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية ويثيب عليها ماهو خير منها وقال عليه الصلاة والسلام لو أهدي اليّ ذراع لقبلت ولودعيت الى كراع لأجبت وقال عليه الصلاة والسلام الهدية رزق من الله عز وجل فمن أهدي اليه شيء فليقبله وقال صلى الله عليه وسلم نعم الشيء الهدية أمام الحاجة ما أرضى الغضبان ولا أستعطف ولا أستميل الهاجر ولا تُوقي المحذور بمثل الهدية والبر وقال الله عز وجل ﴿ وإني مرسلة اليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون فلما جاء سليمانُ قال أتمدونني بمال فما آتاني اللهُ خير مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون ﴾ وروي أن عاملا لعليّ رضي الله عنه قدم من بعض الأطراف فأهدي الى الحسن والحسين سلام الله عليهما ولم يهد الى ابن الحنفية فقال متمثلا

وَمَا ضَرَّ الثَّلَاثَةَ أُمَّ عَمْرٍو ... بِصَاحِبِكِ الَّذِي لَا تَصْحَبِينَا

فأهدى العامل اليه كما أهدي الى أخويه وروى من أمير المؤمنين عليّ عليه السلام أن قوماً من الدهاقين أهدوا اليه جامات فضة فيها الأخبصة فقال ماهذا قالوا يوم نيروز

فقال نيروزنا كل يوم فأكلوا الخبيص وأطعم جلساءه وقسم الجامات بين المسلمين وحسبها لهم في خراجهم .. وقيل ان جلساء المهدى اليه شركاؤه فى الهدية،، والهدية تجلب المودة وتزرع المحبة وتنفى الضغينة وتركها يورث الوحشة ويدعو الى القطيعة والهدية تصير البعيد قريباً والعدو صديقاً والبغيض وليا والثقيل خفيفاً والعبد حراً والحر عبداً وفيها قول الشاعر

مَا مِنْ صَدِيقٍ وَإِنْ أَبْدَى مَوَدَّتَهُ ... يَوْمًا بِأَنْجَحَ فِى الحَاجَاتِ مِنْ طَبَقِ

إِذَا تَقَنَّعَ بِالْمِنْدِيلِ مُنْطَلِقًا ... لَمْ يَخْشَ نَبْوَةَ بَوَّابٍ وَلَا غَلَقِ

لَا تُكْثِرَنَّ فَإِنَّ النَّاسَ مُذْ خُلِقُوا ... لِرَغْبَةٍ كُلَّمَا يُعْطُونَ أَوْ فَرَقِ

وقال آخر

إِذَا أَرَدْتَ قَضَاءَ الحَاجِ مِنْ أَحَدٍ ... قَدِّمْ لِنَجْوَاكَ مَا أَحْبَبْتَ مِنْ سَبَبِ

إِنَّ الْهَدَايَا لَهَا حَظٌّ إِذَا وَرَدَتْ ... أَحْظَى مِنَ الإِبْنِ عِنْدَ الوَالِدِ الحَدِبِ

وقد قيل كل يهدى على قدره .. وذكروا أن سليمان بن داود عليهما السلام بينا يسير بالريح اذ أتى على عش قنبرة فيها فراخ لها فأمر الريح فعدلت عن العش فلما نزل وافق يومه ذلك النيروز فجاءت تلك القنبرة حتى رفرفت على رأس سليمان وألقت في حجره جرادة فقيل له في ذلك فقال كل يهدي على قدره .. وكان مما تهديه ملوك الأمم الى ملوك فارس طرائف مافى بلدهم فمن الهند الفيلة والسيوف والمسك والجلود ومن تبت والصين المسك والحرير والسك والاوانى ومن السند الطواويس والببغا ومن الروم الديباج والبسط وكان القواد والمرازبة والأساورة يهدون النشاب والأعمدة المصمتة من الذهب والفضة والوزراء والكتاب والخاصة من قراباتهم جامات الذهب والفضة المرصعة بالجوهر وجامات الفضة الملوخة بالذهب والعظماء والأشراف البزاة والعقبان والصقور والشواهين والفهود والسروج وآلاتها وربما أهدى الرجل الشريف سوطا فقبله وكانت الحكماء يهدون الحكمة والشعراء الشعر وأصحاب الجوهر الجوهر وأصحاب نتاج الدواب الفرس

الفاره والشهري النادر والحمار المصري والبغال الهماليج والظرفاء قرب الحرير الصيني مملوءة ماورد والمقاتلة القسي والرماح والنشاب والصياقلة والزرادون نصول السيوف والدروع والجواشن والبيض والأسنة وكانت نسوة الملك تهدى احداهن الجارية الناهدة والوصيفة الرائقة والأخرى الدرة النفيسة والجوهرة المثمنة وفص خاتم وما لطف وخف وأصحاب البز الثوب المرتفع من الخز والوشي والديباج وغير ذلك والصيارفة نقر الذهب والفضة وجامات الفضة مملوءة دنانير وأوساط الناس دنانير ودراهم من ضرب سنتهم مودعة أترجة أو سفرجلة أو تفاحة والكاتب واقف يكتب كل مهد وجائزة كل من يجيزه الملك على هديته ليودع ذلك ديوان النيروز

ومن الهدايا التي لم يسمع السامعون بمثلها هدية ابرويز الى ملك الروم بعقب محاربة بهرام جوبين وقد شارف الروم فأنفذ رسولا يستنجده وبعث اليه مائة غلام من أبناء الأتراك مختارين فى صورهم ونفوسهم فى آذانهم أقرطة الذهب معلق فيها حب الدر على مراكب بسروج الذهب منظمة باليواقيت والزمرد وبعث معه بمائدة من عنبر فتحها ثلاثة أذرع مكللة المستدار بالدر لها ثلاث قوائم من ذهب احداها ساعد أسد مع كفه والأخرى ساق وعل مع ظلفه والثالثة كف عقاب فى كف الاسد ياقوتة خضراء وبين ظلفي الوعل ياقوتة حمراء وفى كف العقاب قبجة من اللازورد عيناها ياقوتتان حمراوان تتوقدان حمرة وفى وسط المائدة جام من جزع يماني فاخر فتحه شبر فى شبر مملوء يواقيت حمر وسفط ذهب فيه مائة درة كل درة مثقال ومائة لؤلؤة كل لؤلؤة مثقال ومائة خاتم من ذهب مرصع بالجوهر مشبك الأعلى حشوه مسك وعنبر ووصل رسل ابرويز الى ملك الروم بهذه الهدية فأنجده وأرسل اليه عشرين ألف فارس بالسلاح الشاك وبعث اليه بألفي ألف دينار لارزاق جنده وألف ثوب منسوج وعشرين جارية من بنات ملوك الصقالبة بأقبية الديباج المطير فى آذانهن أقرطة الذهب المزينة بالدر والياقوت وعلى رؤسهن أكلة الجوهر وأنفذ اليه عشرين مركباً على كل مركب صليب تحت كل صليب ألف فارس وألف برذون وألف شهري وألف بغلة وألف نجيب بسروج مذهبة وأكف مذهبة ولجم من ذهب مصبوب وبرادع مذهبة وجلال وبراقع ديباج منسوج

بالذهب واللؤلؤ وأوقر البغال من السندس والاستبرق والذهب واللؤلؤ وبعث اليه مساحة جريب أرض من ذهب فيه نخل من ذهب سعفه الزمرد وطلعه اللؤلؤ وشماريخه الياقوت الأحمر وكربه الجزع وبعث اليه ألف ألف لؤلؤة كل لؤلؤة بالف دينار وبعث اليه ألف ألف درهم مثاقيله ألف ألف دينار خسرواني وأتى به واعتذر اليه من التقصير فقابله ملك الروم عامه المقبل يوم النيروز بفارس من ذهب على شهرى من فضة عينا الشهرى جزع أبيض محدق بسواد وناصيته وعرفه وذنبه شعر أسود بيد الفارس صولجان من ذهب والى جانبه ميدان من فضة في وسط الميدان كرة عقيق أحمر يحمل الميدان ثوران من فضة والشهرى يبول الماء فاذا بال انحط الصولجان على الكرة فمر بها الى أقصى الميدان فتحرك بحركتها الثوران والميدان ويركض الفارس على عجل تحت حوافر الشهرى ،،فأما أهل الاسلام فلم يسمع بمثل هدية حسان النبطى الى هشام بن عبد الملك فانه أهدى اليه والى أمهات أولاده هدية كثيرة من الكساء والعطر والجوهر وغيرها فاستكثرها هشام وقال بيت المال أحق بهذا ثم أمر فنودي عليها فبلغت مائة ألف دينار فبعث حسان أثمانها وقال يا أمير المؤمنين قد طابت الآن هذه مائة ألف دينار تحمل الى بيت المال فأقبل هديتي فقبلها ونادى على مناديه حسان سيد موالي أمير المؤمنين قد طابت الآن هذه،، واستملح المأمون من أبى سلمة ذكر هدية لطيفة قال أهدى الى أمير المؤمنين خواناً من جزع ميلا فى ميل فقال المأمون أو قبضت الهدية قيل نعم قال أهي فى داري أم داري فيها قال بل هي في منديل فدعا بهديته فاذا خوان من جزع عليه ميل من ذهب قد صنع من مائة مثقال بطول الخوان وعرضه فاستملحه وقبله ،،وأهدت أسماء بنت داود الى أسماء بنت المنصور مائة مركن من فضة فيها أنوع اللخالخ والريحان المطيب ومائة جفنة مطيبة وأنواع من الأطعمة والأشربة وعشراً من الوصائف في قد واحد فقومت هديتها فبلغت خمسين ألف دينار ،، وبعث الحسن بن وهب الى المتوكل بجام من ذهب فيه ألفا مثقال من العنبر وكتب اليه

يَاإِمَامَ الهُدَى سُعِدْتَ مِنَ الدَّهـ ـرِ بِرُكْنٍ مِنَ إِلهٍ عَزِيزِ

وبظلٍّ من النَّعيم مديدٍ ... وبحرزٍ من اللَّيالي حريزِ
لا تزل ألف حجَّةٍ مهرجانٍ ... أنت تقضي به إلى النَّيروزِ
ونعيمٍ ألذَّ من نظر المـ ... ـشوق من بعد نبوةٍ ونشوزِ

قال خالد المهابي أهديت الى المتوكل في يوم نيروز ثوب وشي منسوج بالذهب ومشمة عنبر عليها فصوص جوهر مشبك بالذهب ودرعاً مضاعفة وخشبة بخور نحو القامة وثوبا بغدادياً فأعجبه حسنه ثم دعا به فلبسه ، وقال يامهابي انما لبسته لأسرك به فقلت ياأمير المؤمنين لو كنت سوفة لوجب على الفتيان تعلم الفتوة منك فكيف وأنت سيد الناس ، وأحسن من جميع ما تقدم ذكره قول عبد الله العباسي والى الحرمين فانه قال هذا يوم يهدى فيه الى السادة والعظماء والواجب أن أهدي الى سيدى الأكبر ثم دعا بعشرة آلاف دينار فقسمها على أهل الحرمين فكانت فكرته في هذا أحسن من فعله

﴿التلطف في الهدايا﴾ كتب سعيد بن حميد الى بعضهم النفس لك والمال منك غير أني كرهت أن أخلي هذا اليوم من سنة فأكون من المقصرين أو أدعي أن في ملكي مابني بحقك فأكون من الكاذبين وقد وجهت اليك بالسفرجل لجلالته والسكر لحلاوته والدرهم لنفاقه والدينار لعزه فلا زلت جليلا في العيون مهيباً في القلوب حلواً لاخوانك كحلاوة السكر عزيزاً عند الملوك لاتحسن أفئدتهم الا بك ولا زلت نافقاً كنفاق الدرهم ..وأهدى احمد بن يوسف الى ابراهيم بن المهدي وكتب اليه الامراءأعزك الله تسهل سبيل الملاطفة في البر فأهديت هدية من لايحتشم الى من لايغتم مالا فلا أكثره تجحاً ولا أقله ترفعا

﴿هدايا النيروز﴾ قال كتب الحسن بن وهب الى المتوكل في يوم نيروز بهذه الرقعة أسعدك الله ياأمير المؤمنين بكر الدهور وتكامل السرور وبارك لك في اقبال الزمان وبسط يمن خلافتك الآمال وخصك بالمزيد وأبهجك بكل عيد وشد بك أزر التوحيد ووصل

لك بشاشة أزهار الربيع المونق بطيب أيام الخريف المغدق وقرب لك التمتع بالمهرجان والنيروز بدوام بهجة ايلول وتموز وبمواقع تمكين لايجاوزه الأمل وغبطة اليها نهاية ضارب المثل وعمر ببلائك الاسلام وفسح لك في القدرة والمدة وأمتع برأفتك وعدلك الأمة وسربلك العافية ورداك السلامة ودرعك العز والكرامة وجعل الشهور لك بالاقبال متصدية والأزمنة اليك راغبة متشوقة والقلوب نحوك سامية تلاحظك عشقا وترفرف نحوك طربا وشوقا وكتب فى آخره

فداكَ الزَّمانُ وأهلُ الزَّمانِ ... إمامَ الهُدَى بكَ مُستبشِرينا
قد ألقوا إليكَ مقاليدَهُمْ ... جميعاً مُطيعينَ مُستوسِقينا
ولا زِلتَ زيناً لأعيادِنا ... وللدِّينِ كهفاً وحِصناً حَصينا
يَعِز بدَولتِكَ الصَّالحونَ ... ويَشقى بكَ الشِّركُ والمُشركونا
فيا رُبَّ مُشكلةٍ أبرَقَتْ ... فجلَّتها السَّيفَ حقاً يقينا
بصارمِ عزمِكَ مُستبصِرٍ ... وضَربٍ يقُدُّ الطُّلى والمُتونا
وَسَمتَ النَّصارَى بشيطانِها ... وذَلَّلتَ منها الأغرَّ البَطينا
وكَمْ فعلةٍ لكَ في المُشركينَ ... أقرَّتْ عُيوناً وأبكَتْ عُيونا

وكتب آخر

المِهرجانُ لنا يومٌ نُسَرُّ بهِ ... يومٌ تُعظِّمُهُ الأشرافُ والعَجَمُ
وأنتَ فيهِ لنا بَدرٌ يُضيءُ كما ... أنَّ السَّماءَ ببَدرِ اللَّيلِ تبتسِمُ

وكتب آخر

عيدٌ جديدٌ وأنتَ جِدَّتُهُ ... يا مَنْ بهِ للزَّمانِ تَجديدُ
لا زالَ طُولَ الزَّمانِ يَرجعُهُ ... وظِلُّ مُلكٍ عليكَ ممدودُ

وقيل للمازنى أي هؤلاء أظرف فى شعره الذي يقول

جُعِلْتُ فِدَاكَ للنَّيرُوزِ حَقٌّ ... فأَنتَ عليَّ أعظَمُ منهُ حَقَّا

ولوْ أهدَيْتُ فيهِ جميعَ مِلْكى ... لكانَ جَليلُهُ لكَ مُسْتَدَقَّا

فأَهدَيْتُ الثَّناءَ بنَظْمِ شعْرٍ ... وكُنتَ لِذَاكَ منّي مُستَحِقا

أم الذي يقول

دَخَلْتُ السُّوقَ أبتاعُ ... وأَستَطْرِفُ ما أُهْدِي

فما استَطْرَفْتُ للإِهدَا ... ءِ إلاَّ طُرَفَ الحَمْدِ

إذا نحنُ مَدَحْنَاكَ ... رَعَيْنَا حُرْمَةَ المَجْدِ

أم الذى يقول

وكَمْ مِنْ مُرْسَلٍ لكَ قدْ أتاني ... بما يُهْدِي الخَليلُ إلى الخَليلِ

فأَظهَرْتُ السُّرُورَ وقلتُ أهْلاً ... وسَهْلاً بالهَدِيَّةِ والرَّسُولِ

فقال أشعرهم جميعهم وأظرفهم الذى يقول

فواللهِ لا أَنفكُّ أُهْدِي شَوارِداً ... إليكَ يُحَمِّلْنَ الثَّناءَ المُبَجَّلا

ألَذَّ مِنَ السَّلْوَى وأَطيبَ نَفْحَةً ... مِنَ المِسكِ مَفْتوتاً وأَيْسَرَ مَحْمَلا

وبعث سعيد بن حميد الى احمد بن أبي طاهر قارورة ماورد وكتب اليه

وزائِرَةٍ حُورِيَّةٍ فارِسِيَّةٍ ... كنَشْرِ حبيبٍ حادَ يوماً عنِ الصَّدِّ

تَرُدُّ رَبيعاً في مَصيفٍ بنَفْحَةٍ ... إذا فَقَدَتْ وَرداً تَنُوبُ عنِ الوَرْدِ

حكَى نَشْرُهَا منهُ خَلائقَ نَشْرِهِ ... كنَشْرِ نَسيمِ الرَّوضِ في جَنَّةِ الخُلْدِ

وشَبَّهْتُهَا في صَفْوِهَا بِصَفَائِهِ ... لإِخوانِهِ في القُرْبِ منهُ وفي البُعْدِ

وأهدت لنا منه النسيم نسيمه وإن كان إن حالت يدوم على عهد

وعن اسحاق بن ابراهيم الموصلي ، قال دار كلام بين الأمين وبين ابراهيم بن المهدي ، قال فوجد عليه الأمين فهجره فوجه اليه ابراهيم بوصيفة مغنية مع عبد هندي فأبى الأمين أن يقبلها فكتب اليه

هتكت الضمير برد اللطف وكشفت هجرك لي فانكشف

فإن كنت تحقد شيئاً مضى فهب للخلافة ما قد سلف

وجد لي بعفوك عن زلتي فبالفضل تأخذ أهل الشرف

فرضي عنه ودعاه للمنادمة

﴿ هدايا الفصد ﴾ قال ابن حمدون النديم افتصد المأمون فأهدى اليه ابراهيم بن المهدي جارية معها عود ورقعة فيها

عفوت وكان العفو منك سجية كما كان معقوداً بمفرقك الملك

فإن أنت أتممت الرضى فهو المنى وإن أنت جازيت المسيء فذا الهلك

فقال المأمون خرف الشيخ يوم مثل هذا يذكر الثواب والآخرة فلم يقبل الوصيفة واغتم ابراهيم وكتب اليه مع الوصيفة

لا والذي تسجد الجباه له ما لي بما دون ثوبها خبر

ولا بفيها ولا هممت بها ما كان إلا الحديث والنظر

فقال المأمون نعم الآن أقبلها فقبلها ، قال أبو القاسم بن أبي داود كنت عند احمد ابن محمد العلوي وقد افتصد فخرج بعض الخدم ومعه طبق من فضة عليه تفاح طيب مكتوب حواليه بالذهب

سر الغداة بوجهك اللعب وجرى بيمن فصادك الطرب

وتداعتِ العيدانُ في زَجَلٍ ... وتناولتْ راحاتِها النُّخَبُ
فاشرَبْ بهذا الجامِ يامَلِكي ... شُرْباً حثيثاً إنَّهُ عَجَبُ
واجعلْ لِمَنْ قدْ خفَّ في لَطَفٍ ... منْ زَوْرِهُ يُخْشى ويُرْتَقَبُ

فقال للخادم اخرجها الى الستارة فخرجت وخلا ليلته بها ، وقيل اقتصد المعتصم فاهدت اليه شمائل صينية عقيق عليها قدح أسبل عليهامنديل مطيب مكتوب عليه بالعنبر في كل ربع منه بيت شعر

خضَبَ الخليفةُ كفَّهُ منْ فصْدِهِ ... بدَمٍ يُحاكي عبْرَةَ المُشْتاقِ
تاهَ الفِصادُ فما يُقامُ لتيهِهِ ... إذْ صارَ مُفتصِدًا أبو إسحاقِ
وتوافتِ العيدانُ عندَ حُضورِهِ ... قُبَّ البُطونِ ذَوابِلَ الأعْناقِ
مَلِكٌ إذا خطَرَ الشَّرابُ ببالِهِ ... لَبِسَ السُّرورُ غلائلَ الإشراقِ

فلما قرأه أمر باحضار اسحاق بن ابراهيم الموصلي وأمره أن يجعل له لحنا وأمر مسروراً باخراجها من وراء الستارة ثم لم يزل اسحاق يردد هذه الأبيات حتى أحكمتها شمائل وغنت فكأن سفط الدر يتناثر من فيها وأمر لاسحاق بمال وللجارية بخمس وصائف وخمسة آلاف دينار، المبرد قال أهدى اليزيدى الى الرشيد يوم فصد جام بلور وشمامات غالية وكتب اليه ياأمير المؤمنين تفاءلت في الشرب في الجام بجمام النفس ودوام الأنس والغالية للغلو في السرور والازدياد من الخير والحبور وقلت

دَمُ الفَصْدِ منْ يدِكَ العاليَه ... يُداعي لجسْمِكَ بالعافيَه
كَسا الدَّهرَ ثوْباً منَ الأرْجُوانِ ... بديعَ الطِّرازَيْنِ والحاشيه
وعَصْفَرَ صفْحةَ وَجْهِ الرَّبيعِ ... بصبْغٍ منْ أسْرارِهِ الجاريه
فكمْ رَوْضةٍ نَشَرَتْ وَشْيَها ... وزَهْرَةِ روْضٍ غدَتْ زاهيَه

إمامٌ أسالَ دَمَ المَكْرُماتِ ... فشَجَّجَ أقنائَها الحاميَه
فلا زالَ في عيْشةٍ راضيه ... ودامَتْ لهُ النِّعْمةُ الكافيه

قال اليزيدي افتصد المأمون فأهدت اليه رباح أترجة عنبر عليها مكتوب بماء الذهب

تَعالَجَ مَنْ هَوِيتُ بفَصْدِ عِرْقٍ ... فأَضحى السُّقْمُ في خَلَعِ الخُضوعِ
وجاءَتْ تُحْفَةُ الأَلبابِ تَسعى ... بوَرْدٍ فائضٍ فيضَ الدُّموعِ

فقال المأمون لليزيدي ويحك ما تقول فيمن كتب هذين البيتين قال يكافأ بالدنيا وما استدق منها فأمر لها بمال كثير ووصلني ببعضه ، قال وافتصد عبدالله بن طاهر فأهدى له أبو دلف جميع ما أصاب في السوق من الورد وكتب اليه

تَضاحَكَ الوَرْدُ في وَجْهي فقلتُ لهُ ... لِمْ ذا فقالَ أبو العَبّاسِ مُفْتَصِدُ
فقُمْتُ أَطلُبُ ما أُهدِيهِ مِنْ طُرَفٍ ... لِلفَصْدِ في السُّوقِ حتّى خانَني الجَلَدُ
يومُ الفِصادِ لهُ أُزْرٌ مُطَيَّبَةٌ ... مَحْجوبَةٌ لا يَراها الجَرْدُ والزَّرَدُ
فاشرَبْ على الوَرْدِ مَسرُوراً بطَلْعَتِهِ ... يا ابنَ الكِرامِ فأَنتَ السَّيِّدُ النَّجِدُ

قال عمرو بن بانة اعتل المعتصم فأشار عليه بختيشوع بالفصد وأنا عنده فأخرجت اليه هدايا الفصد وكان فيما أخرج طبق صندل مكتوب عليه بجزع كما يدور عليه شمامات مسك وعنبر فأمر بقراءة ماعليه فاذا هو

فُصِدَ الإمامُ لعِلَّةٍ في جسمِهِ ... فشَفَى الإلهُ السُّقْمَ بالفَصْدِ
وجَرَى إلى الطَّشْتِ السَّقامُ مُبادِراً ... وجَرَى الشِّفاءُ إليهِ بالسَّعْدِ
يا مالِكاً مَلَكَ العِبادَ بجُودِهِ ... إسْلَمْ سَلِمْتَ بعيشَةٍ رَغَدِ

فقال يا عمرو من يلومني على حب هذه الجارية والله ما أراها الا تزايدت في عيني وخليق أن تجب فان لها همة فولدت له غلاما وكانت آثر جواريه عنده واحظاهن لديه

،،وأخبرنا ابراهيم القارئ قال كنت عند المأمون فاحتاج الى الفصد فقال له الاطباء البلد بادر فقال لابد لي منه ففصدوه فلما كان وقت الظهر حضروا فراموا فجر العرق فاذا هو قد التحم فشدوا الرباط وفيهم ميخايل فما ظهر الدم فقال لهم المأمون عقرتموني فحلوا الرباط وعلى رأسه بختيشوع وابن ماسويه فقال ماتقولون ، قالوا ماندري مانقول ، قال فأشاروا هناك أن جلالة الخليفة ربما أدهشت الحاذق بالصناعة والمتقدم في الرياسة فاعتزلوا ناحية وأبطؤا عليه فقال لاسود كان على رأسه ادن فمص الجرح ففعل فثار الدم فقال ادع هؤلاء الحاكة فجاؤا وشهدوا خروج الدم ، قال أين كنتم ، قال ابن ماسويه لو فعل جالينوس مازاد عليه ،، قال وافتصد احمد بن عيسى بالري وهو أميرها فكتب اليه جعفر الشيباني

فَصَدْتَ بِأَرْضِ الرَّيِّ طَابَ لَكَ الفَصْدُ ... وفارَقَ نَجْمَ النَّحْسِ طالِعُكَ السَّعْدُ

فأَعْقَبَكَ الحُسْنَى التي لا مَدَى لها ... ولا زالَ بُرْدَيْكَ الجَلالَةُ والحَمْدُ

تَوَرَّدَتِ الدُّنيا بِفَصْدِكَ مِثْلَ ما ... بِفَصْدِكَ يا ابنَ المُصْطَفَى ضَحِكَ الوَرْدُ

فلا أَبْصَرَتْ عَيْناكَ ما عِشْتَ شانِياً ... ومِنْ كُلِّ ما تَهْواهُ لا خانَكَ العَهْدُ

وفي مثله

يافاصِدًا مِنْ يَدٍ جَلَّتْ أَيادِيها ... ونالَ مِنهُ الذي يَرْجوهُ راجِيها

يَدُ النَّدَى هِيَ فارْفُقْ لا تُرِقْ دَمَها ... فإِنَّ آمالَ طُلَّابِ النَّدَى فيها

قال وكتب الحمدوني الى الفضل بن جعفر وقد افتصد

أَلا يا طَبِيبَ الفَصْدِ هَلْ أَنْتَ عالِمٌ ... بِما صَنَعَتْ كَفَّاكَ في كَفِّ ذي المَجْدِ

أَسَلْتَ دَماً مِنْ ساعِدٍ يَنْثَني بِها ... حَياءُ نَدًى فاقصِدْ بِذَرْعِكَ في الفَصْدِ

فَداوَيْتَ كَفًّا تَعْلَمُ النَّاسُ أَنَّها ... دَواءٌ مِنَ الأَعْمالِ في الزَّمَنِ النَّكْدِ

ولَمَّا أَتانا المُخْبِرُونَ بِفَصْدِهِ ... أَرَدْتُ بِأَنْ أُهْدِي عَلى قَدْرِ ما عِنْدي

وشاورتُ فاستصحبتُ آلي وجيرتي فلم أرَ أمرى منْ ثناءٍ ومنْ حمدِ

وقال آخر

تُؤْنِقُ منْ ثنائكَ فى الهدايا غداةَ أردْتَ قصدَ الباسليقِ
فلمْ أرَ كالدُّعاءِ أتمَّ نفعاً وأجملَ فى مكافاةِ الصَّديقِ
وأكثرتُ الدُّعاءَ وقلتُ ربى يقيكَ شُرورَ آفاتِ العُروقِ

وقال آخر

على طيبِ أيَّامِ التَّمتُّعِ بالوَرْدِ فصدْتَ فأُصحبتَ السَّلامةَ فى الفصدِ
ولا زلتَ لا زالتْ منَ اللهِ أنعُمٌ عليكَ قريرَ العينِ مُغتبطَ الجسدِ
لقدْ رُمتُ جهدى طُرفةً وهديَّةً إليكَ فكانَ الشُّكرُ أكثرَ ما عندى

وقال آخر

أيُّها الفاصدُ العليلُ الصَّحيحُ بأبي ذلكَ الجراحُ الجريحُ
إنَّ منْ عاقَ الذِّراعَ منَ الفصـــــدِ إلى الجيدِ ذاكَ شيءٌ مليحُ
أيُّها الفاصدُ المُهنَّا لهُ الوَرْ دُ وفى وجنتيهِ وَرْدٌ يلوحُ

وقال آخر

أيُّها السَّيِّدُ الذى فصدَ العِرْ قَ وأرخى دونى ذُيولَ السُّرورِ
كمْ تمنَّيتُ أنْ أكونَ طبيباً ومُنى الصَّبِّ تُرَّهاتُ الغُرورِ

وقال آخر

أجملْ جُعلتُ فِداكَ بالجلدِ وامننْ علىَّ بأجملِ الرَّدِّ
لوْ عاينتْ عيناكَ مُضطَربى وتفرُّدِى بالمدِّ والشَّدِّ

وتخشّعي عندَ الطّبيبِ كأنهُ ... مَوْلًى يُرِيدُ عقوبةَ العبْدِ

كالنّارِ مبْضَعُهُ يُقلّبُهُ ... ويُديرُ مُقْلةَ حازمٍ جلْدِ

حتّى اعتزمْتُ على مُحاجزةٍ ... وصَدَدْتُ عنهُ أيّما صَدِّ

ما كانَ منْ ألمٍ شعرْتُ بهِ ... إلاّ كموْقعِ شرْطةِ الجلْدِ

إذْ سالَ منْبعثاً سوابقُهُ ... كالنّارِ خارجةً منَ الزّنْدِ

فسلِمْتُ والرّحمنُ سلّمني ... ذو المَنِّ والآلاءِ والحمْدِ

ما بعْدَ طبّاخي لمفْتخرٍ ... فخْرٌ لمنْ قبلي ومنْ بعدي

نصبَ القُدُورَ بنفْسهِ كرَماً ... لنُصيبَ شهْوَتنا على عمْدِ

فأجادَ صنْعتَها وعجّلَها ... منْ غيرِ ما تعَبٍ ولا جهْدِ

ونبيذُنا صافٍ ومجْلسُنا ... في الطّيبِ يحكي جنّةَ الخُلْدِ

فهلُمّ واحضرْ غيرَ محْتشمٍ ... واجعلْ غداءَكَ سيّدي عندي

لا تحْمِمَنّ عليّ محْتسباً ... ضعْفَ العليلِ ووحشةَ الفرْدِ

محاسن الوصائف المغنيات

قال الأصمعي ،، بعث إليّ هرون الرشيد وهو بالرقة فحملت اليه فانزلني الفضل بن الربيع ثم ادخلني عليه وقت الغروب فاستدناني وقال : يا عبد الملك وجهت اليك بسبب جاريتين اهديتا إليّ وقد أخذتا طرفا من الأدب احببت ان تبرز ما عندهما وتسبر على الصواب فيهما ثم أمر باحضارهما فحضرت جاريتان ما رأيت مثلهما قط فقلت لاحداهما ماعندك من العلم ، قالت : ماأمر الله في كتابه ثم ماينظر فيه الناس من الأشعار والأخبار فسألتها عن حروف القرآن فأجابتني كأنها تقرأ في كتاب الله ثم سألتها عن الأشعار والأخبار والنحو والعروض فما قصرت عن جوابي في كل فن أخذت فيه فقلت لها : فانشدينا شيئاً ،، فأنشدت

يا غياثَ البلادِ في كلِّ محلٍ ... ما يُريدُ العبادُ إلاَّ رضاكَ
لا ومَنْ شرَّفَ الإمامَ وأعلى ... ما أطاعَ الإلهَ عبدٌ عصاكَ

فقلت : يا أمير المؤمنين ما رأيت امرأة في نسك رجل مثلها وخبرت الأخرى فوجدتها دونها فأمر أن تُصنع تلك الجارية لتحمل اليه في تلك الليلة ثم قال لي: ياعبد الملك انا ضجر واحب أن تسمعني حديثاً مما سمعت من أعاجيب الزمان نفرج به . فقلت : يا أمير المؤمنين كان لي صاحب في بدو بني فلان وكنت أغشاه وأتحدث معه وقد أتت عليه ست وتسعون سنة وهو أصحّ الناس ذهناً وأقواهم بدناً فغبت عنه ثم أتيته فوجدته ناحل البدن كاسف البال فسألته عن سبب تغيره فقال : قسدت بغض القرابة فالفيت عندهم جارية قد طلت بالورس بدنها وفي عنقها طبل تنشد عليه

مَحاسِنُها سِهامٌ لِلمَنايا ... مُرَيَّشَةٌ بأَنواعِ الخُطُوبِ
تُوَى رَيبَ المَنونِ بِهِنَّ سَهماً ... تُصيبُ بِنَصلِهِ مُخَّ القُلُوبِ

فقلت

قِفي شفتي من موضعِ الطَّبْلِ تَرْتَعي كما قد أبحتِ الطَّبْلَ في جيدِكِ الحسَنْ
هَبيني عُوداً جوفُهُ تحتَ متنِهِ يُمتِّعُني ما بينَ نحرِكِ والذَّقَنْ

فلما سمعت شعرى رمت بالطبل فى وجهي ودخلت الخيمة فوقفت حتى حميت الشمس على مفرقى ولم تخرج فانصرفت قريح القلب فهذا التغير من عشقها ، فضحك الرشيد حتى استلقى وقال : ويلك ياعبد الملك ابن ست وتسعين يعشق ، فقلت : قد كان هـذا ، فقال : يا عباس اعط عبد الملك مائة ألف درهم وردّه الى مدينة السلام ، فانصرفت ثم أتانى خادم فقال : انا رسول ابنتك — يعنى الجارية — تقول لك ان أمير المؤمنين قد أمر لها بمال وهذا نصيبك ، فدفع الىّ ألف دينار ولم تزل تواصلنى بالبر الواصل حتى كانت فتنة محمد وانقطع خبرها وامر الفضل لى بعشرة الآف درهم ،،

علىّ بن الجهم ، لما افضت الخلافة الى المتوكل أهدى اليه الناس على أقدارهم فاهدى اليه ابن طاهر جارية أديبة تسمي قبيحة تقول الشعر وتلحنه وتحسن من كل علم أحسنه فجلت من قلب المتوكل محلا جليلا فدخلت يوما للمنادمة وخرج المتوكل وهو يضحك وقال : يا على دخلت فرأيت قبيحة قد كتبت على خدها بالمسك جعفر فمارأيت أحسن منه فقل فيه شيئا ، فسبقتني محبوبة وأخذت عودها فغنت

وكاتبةٍ بالمسكِ في الخدِّ جعفَرا بنفسي خطُّ المسكِ من حيثُ أثَّرا
لئن أودعتْ سطراً من المسكِ خدَّها لقد أودعتْ قلبي من الوجدِ أسطُرا
فيا من لمملوكٍ يظلُّ مليكُهُ مُطيعاً لهُ فيما أسرَّ وأجهرا
ويا من لعيني من رأى مثلَ جعفرٍ سقى اللهُ صوبَ المُسكِراتِ لجعفرا

قال : فقلت خواطري حتى كأنى ما أحسن حرفا من الشعر وقلت للمتوكل : أقل فقد والله غرب عنى ذهني فلم يزل يعيرنى به ثم دخلت عليه للمنادمة بعد ذلك فقال : يا علىّ أعلمت انى قد غاضبت محبوبة وأمرتها بلزوم مقصورتها ومنعت أهل القصر من كلامها ، فقلت : يا سيدي ان غاضبتها اليوم فصالحها غدا فدخلت عليه من الغد فقال :

ويحك يا علىّ رأيت البارحة فى النوم كأنى صالحت محبوبة ، فقالت جاريتـه ، شاطر يا سيدي لقد سمعت الآن في مقصورتها هينمة فقال : ننظر ما هي ،فقام حافياحتى وصلنا مقصورتها فاذا هى تغنى

أَدُورُ فى القَصْرِ كَيْ أَرَى أَحَدًا ... أَشْكُو اليهِ فَلاَ يُكَلِّمُنِي

فَمَنْ شَفِيعٌ لنا إلي مَلِكٍ ... قَدْ زارَني في الكَرَا يُعاتِبُنِي

حَتَّى إذا ما الصَّبَاحُ عادَ لنـا ... عادَ إلي هَجرِهِ فَفارَقَنى

فصفق المتوكل طربا فلما سمعته خرجت تقبل رجليه وتمرغ خدها في التراب حتى أخذ بيدها راضيا عنها ،، حدث ابو علىّ بن الاسكري المصرى ـ واسكر هي القرية التى ولد فيها موسى عليه السلام ـ قال : كنت من جُلاّس تميم بن تميم وممن يخف عليه فأتي من بغداد بجارية رائعة فائقة الغناء فدعا بجلسائه وقدمت الستارة فغنت

وبَدَا لهُ مِنْ بَعدِ ما انْدَمَلَ الهَوَي ... بَرْقٌ تَأَلَّقَ مُوهِناً لَمَعَانُه

يَبْدُو كَحاشِيَةِ الرِّداءِ ودونَهُ ... صَعْبُ الذُّرَي مُتَمَنِّعٌ أَرْكَانُهُ

وبَدَا لِيَنْظُرَ كيفَ لاحَ ولَمْ يَطِقْ ... نَظَرًا إليهِ وهَدَّهُ هَيَجانُه

فالنَّارُ ما اشتَمَلَتْ عليهِ ضُلُوعُهُ ... والماءُ ما سَحَّتْ بِهِ أَجْفانُه

قال : فأحسنت ما شاءت فطرب تميم ومن حضر ثم غنت

سيَسْلُبُكَ مَمادُونَ دَوْلَةِ مُفضِلٍ ... أَوائِلُهُ مَحمودَةٌ وأَواخِرُه

ثَنَى اللهُ عِطْفَيْهِ وأَلَّفَ شَخْصَهُ ... على البِرِّ مُذْ شُدَّتْ عليهِ مآزِرُه

فطرب تميم ومن حضر ثم غنت

أَستَوْدِعُ اللهَ فى بَغدادَ لي قَمَرًا ... بالكَرخِ من فَلَكِ الأَزْرارِ مَطْلَعُهُ

فافرط تميم فى الطرب جداً وقال لها : تمنى ما شئت فلك مناك ، قالت : اتمنى أيها الأمير عافيته وسلامته ، فقال : والله لا بد ان تمني ، فقالت : على الوفاء أتمنى أن اغني

هذه النوبة ببغداد فتغير وجه تميم وتكدر المجلس وقمنا فاحقني بعض خدمه فردني فلما وقفت بين يديه قال : ويحك ارأيت ما امتحنا به ولا بد لنا من الوفاء ولم أثق في هذا بغيرك فتأهب لحملها الى بغداد فاذا غنت هناك فاصرفها ، فقلت : سمعا وطاعة ثم اصحبها جارية سوداء تخدمها وتعادلها وأمر بناقة لي فحمل عليها هودج وادخلت فيه وسرنا مع القافلة الى مكة فقضينا حجنا ثم لما وردنا القادسية اتتني السوداء فقالت : تقول لك سيدتي أين نحن ، فقلت لها : نحن الآن بالقادسية فاخبرتها فسمعت صوتا قد ارتفع ناشدا

لَمَّا رَأَينا القادِسِيَّةَ حيثُ مُجْتَمَعُ الرِّفاقِ
وشَمَمْتُ مِنْ أَرضِ الحِجا زِنَسيمَ أَنفاسِ العِراقِ
أَيْقَنْتُ لي ولِمَنْ أُحِبُّ بِجَمْعِ شَمْلٍ واتِّفاقِ
وضَحِكْتُ مِن فَرَحِ اللِّقا ءِ كما بَكَيتُ مِنَ الفِراقِ

فصاح الناس من أقطار القافلة : اعيدي بالله فلم يسمع لها كلمة فلما نزلنا الناصرية على خمس أميال من بغداد في بساتين متصلة تبيت الناس فيها ثم يبكرون ببغداد ، فلما قرب الصباح اذ السوداء قد اتتني مذعورة فقالت : إن سيدتي ليست بحاضرة فلم أجدها ولا وجدت لها ببغداد خبرا ، فقضيت حوائجي وانصرفت الى تميم وأخبرته خبرها فلم يزل واجما عليها ،، واخبار القينات كثيرة فنقتصر منها على هذا القدر

محاسن الجواري مطلقا

قيل ،، كان يقال : من أراد قلة المؤونة وخفة النفقة وحسن الخدمة وارتفاع الحشمة فعليه بالاماء دون الحرائر ، وكان مسلمة بن مسلمة يقول : عجبت لمن استمتع بالسراري كيف يتزوج المهائر ، وقال : السرور باتخاذ السراري ، وكان أهل المدينة يكرهون اتخاذ الاماء امهات اولادهم حتى نشأ فيهم علي بن الحسين بن علي رضي الله عنهم

وفاق أهل المدينة فقها وعلماً وورعا فرغب الناس فى اتخاذ السرارى ، قال : وليس من خلفاء بنى العباس من أبناء الحرائر الا ثلاثة السفاح والمنصور والامين والباقون كلهم أبناء الجواري وقد علقت الجوارى لأنهن يجمعن عز العرب ودهاء العجم

﴿ ضده ﴾

إذا لم يكن فى منزل المرء حرة ... رأى خللاً فيما تولى الولائد

فلا يتخذ منهن حرٌّ قعيدة ... فهن لعمر الله شر القعائد

وكان يقال : الجوارى تخبز السوق والحرائر تخبز الدور ، ومن أمثال العرب : لا تمازح امة ولا تبك على أكمة ،، وقال بعضهم :لاتفترش من تداولتها ايدى النخاسين ووقع ثمنها فى الموازين ،، وقال : لا خير في بنات الكفر وقد نودى عليهن فى الأسواق ومرّت عليهن أيدى الفساق

محاسن الموت

فى الحديث المرفوع : الموت راحة ،، وقال بعض السلف : مامن مؤمن إلا والموت خير له من الحياة لانه إن كان محسنا فالله يقول ﴿وما عند الله خير للأبرار﴾ وان كان مسيئاً فالله تعالى جدّه يقول ايضا ﴿ ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملى لهم خير لأنفسهم إنما نملى لهم ليزدادوا إثماً ﴾ وقال ميمون بن مهران : أتيت عمر بن عبد العزيز فكثر بكاؤه ومسئلته الله الموت فقلت : يا أمير المؤمنين تسأل ربك الموت وقد صنع الله على يدك خيراً كثيراً أحييت سننا وأمتّ بدعا وفعلت وصنعت ولبقائك رحمة للمؤمنين ، فقال : الا أكون كالعبد الصالح حين أقر الله عينه له أمره قال ﴿ رب قد آتيتني من الملك وعلّمتنى من تأويل الأحاديث ﴾ الى قوله ﴿ وألحقني بالصالحين ﴾ فما دار عليه

أسبوع حتى مات رحمه الله ،، قالت الفلاسفة : لا يستكمل الانسان حدّ الانسانية إلا بالموت لأن حدّ الانسانية إنه حي ناطق ميت ،، وقال بعض السلف ،، الصالح اذا مات استراح والطالح إذا مات استريح منه ،، قال الشاعر

وما الموتُ إلاّ راحةٌ غيرَ أنهُ ... مِنَ المنزلِ الفانى إلى المنزلِ الباقي

وقال آخر

جزَا اللهُ عنّا الموتَ خيرًا فإنهُ ... أبَرَّ بنا من كلِّ برٍّ وأرأفُ

يُعجِّلُ تخليصَ النفوسِ من الأذي ... ويُدْنى من الدارِ التى هي أشرفُ

وقال منصور الفقيه

قد قلتُ إنْ مدَحوا الحياةَ فأسرفوا ... فى الموتِ ألفُ فضيلةٍ لا تُعرَفُ

منها أمانُ بقائهِ بلقائهِ ... وفراقُ كلِّ معاشرٍ لا ينصِفُ

وقال أحمد بن أبى بكر الكاتب

من كان يرجو أنْ يعيشَ فإنّنى ... أصبحتُ أرجو أنْ أموتَ فأعتقا

في الموتِ ألفُ فضيلةٍ لو أنّها ... عُرِفتْ لكانَ سبيلهُ أنْ يُعشقا

وقال لنكك البصرى

نحنُ واللهِ فى زمانٍ غشومٍ ... لو رأيناهُ فى المنامِ فزعنا

أصبحَ الناسُ فيهِ من سوءِ حالٍ ... حقَّ من ماتَ منهمُ أنْ يهنّا

﴿ ضده ﴾

في الحديث المرفوع أكثروا ذكر هادم اللذات يعنى الموت ،، قال الشاعر

يا موتُ ما أجفاكَ من نازلٍ ... تنزلُ بالمرءِ على رغمهِ

تَستَلِبُ العَذْراءَ مِنْ خِدْرِها وتأْخُذُ الواحِدَ مِنْ أُمّه

وقال

وكلُّ ذي غيْبةٍ له إيابُ وغائبُ الموْتِ لا يؤُوبُ

وقال بعضهم الناس فى الدنيا اغراض تنتصل فيها سهام المنايا ، وقال ابن المعتز الموت كسهم مرسل اليك وعمرك بقدر سفره نحوك ، وقال بعضهم الموت أشد مما قبله وأهون مما بعده ،، ونظر الحسن رضى الله عنه الى ميت يدفن فقال ان شيئاً أوله هذا لحقيق أن يخاف آخره وان شيئاً هذا آخره لحقيق أن يزهد فى أوله ،، وسئل بعض الفلاسفة عن الموت فقال مفازة من ركبها ضل خبره وعمى أثره .. والله أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب

بحمد المنزه عن المساوى والانداد تم طبع كتاب المحاسن والاضداد وكان ذلك فى اليوم الاخير من جمادى الاولى من شهور سنة ١٣٢٤ هجريه وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

BIBLIOTHÈQUE KHÉDIVIALE AU CAIRE

﴿ فهرس كتاب المحاسن والاضداد ﴾

صحيفه	
٠٢	مقدمة الكتاب
٠٣	محاسن الكتابة والكتب
٠٦	ضده
٠٧	محاسن المخاطبات
١٠	ضده
١١	محاسن المكاتبات
١٤	ضده
١٤	محاسن الجواب
١٥	ضده
١٦	محاسن حفظ اللسان
١٨	ضده
١٨	محاسن كتمان السر ،، وضده
٢٢	محاسن المشورة
٢٣	ضده
٢٤	محاسن الشكر
٢٦	ضده
٢٨	محاسن الصدق
٢٩	ضده
٣٢	محاسن العفو
٣٣	ضده
٣٥	محاسن الصبر على الحبس
٣٦	ضده
٣٩	محاسن المودة
٤٠	ضده

صحيفه	
٤١	محاسن الولايات
٤٢	ضده
٤٣	محاسن الصحبة
٤٣	ضده
٤٥	محاسن التطير
٤٦	ضده
٤٧	محاسن الوفاء
٥٠	ضده
٥٠	محاسن السخاء
٥٨	مساوى البخل
٦٧	محاسن الشجاعة
٧٤	ضده
٧٧	محاسن حب الوطن
٨٢	ضده
٨٤	محاسن الدهاء والحيل
٨٧	ضده
٨٩	محاسن المفاخرة
١٠٥	ضده
١٠٨	محاسن الثقة بالله سبحانه
١٠٨	ضده
١٠٩	محاسن طلب الرزق
١١٠	ضده
١١٢	محاسن المواعظ
١١٣	ضده

oberkandi.com

صحيفه	
١١٣	محاسن فضل الدنيا
١١٤	ضده
١١٩	محاسن الزهد
١٢١	ضده
١٢٣	محاسن النساء الناديات
١٢٧	محاسن النساء الماجنات
١٣٥	محاسن النساء الاعربيات
١٣٧	محاسن النساء المتكلمات
١٤١	محاسن النساء مطلقاً
١٤٦	محاسن التزويج
١٥٠	أمثال فى التزويج
١٥٣	فى الناشزة من النساء
١٥٦	ماجاء في نساء الخلفاء
١٥٨	ماجاء في المطلقات
١٦٣	محاسن وفاء النساء
١٦٨	ضده
١٧٤	محاسن مكر النساء
١٧٨	مساوي مكر النساء

صحيفة	
١٧٩	محاسن الغيرة
١٨٦	اخبار وامثال فى الباب
١٩٠	اخبار الشعراء فى الباب
١٩٢	مساوى شدة الغيرة
١٩٧	محاسن القيادة
٢٢٥	محاسن الدبيب
٢٢٨	ضده مساوى الدبيب
٢٣١	محاسن الباه
٢٣٢	ضده فى مساوي العنين
٢٣٣	محاسن النيروز والمهرجان
٢٣٧	محاسن الهدايا
٢٤١	التلطف فى الهدايا
٢٤١	هدايا النيروز
٢٤٤	هدايا الفصد
٢٥٠	محاسن الوصائف المغنيات
٢٥٣	محاسن الجواري مطلقا
٢٥٤	ضده
٢٥٤	محاسن الموت .. وضده

obeikandl.com

اعلان

يتشرف محلنا الكائن بشارع الحلوجي بمصر بعنوان (محمد أمين الخانجي الكتبي وشركاه) بالاعلان عن الكتب التي وفقهم الله تعالى بطبعها مما لم يسبق لها طبع

كتاب الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم مما اجتمع عليه واختلف فيه عن علماء الصحابة والتابعين وفقهاء الامصار وشرح ما ذكروه بيناً وما فيه من اللغة والنظر تأليف أبي جعفر النحاس المصرى المتوفي سنة ٣٣٨

كتاب شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل تأليف شيخ الاسلام شمس الدين ابو بكر بن قيم الجوزيه المتوفي سنة ٧٥١ وهذا الكتاب أوسع ما أولف فى هذه المسائل التى يهم طلاب الحقائق الاطلاع عليها

مجموعة الرسائل الكبرى جزآن يحتويان على ٢٩ رسالة فى مواضيع مختلفة كلها من المسائل التى يشترك فيها النقل والعقل من تآليف شيخ الاسلام تقي الدين ابن تيمية الحنبلى المتوفى سنة ٧٢٨

كتاب الدر النضيد من مجموعة الحفيد لشيخ الاسلام الهروى حفيد السعد التفتازانى المتوفي سنة ٩٠٦ جمع فيه المسائل المهمة من أربعة عشر علم من أمهات العلوم الدينية والأدبية والفلسفية

المفصل في علم العربية للعلامة الزمخشرى مع كتاب المفضل شرح شواهد المفصل للسيد محمد بدر الدين النعساني الحلبي شرحا ضافياً بالمهم مما يتعلق بمسائل الشاهد مع بيان قائله محركا كلماته المهمة بالشكل الكامل

كتاب الظرف والظرفاء أو كتاب (الموشى) لأبي اسحاق عبد الله المعروف بالوشاء أحد علماء القرن الثالث وممن أخذ الادب عن المبرد صاحب الكامل وقد مثل هذا الكتاب المتظرفين والمتظرفات في القرون الأولى وأوضح سنن الظرف فيه

كتاب المعمرين من العرب وطرف أخبارهم وما سنوه لمن بعدهم في جوامع كلمهم تأليف الامام أبي حاتم السجستانى المتوفى سنة ٢٣٥ مضبوط ما جاء فيه من

الشعر والحكم بالشكل ومشروحة بعض ألفاظه

كتاب الصناعتين (الكتابة والشعر) أو (النثر والنظم) تأليف أبي هلال العسكري أحد أعلام أدباء القرن الرابع .. وهو الكتاب الوحيد الخالي من حشو الكلام وتعقيده أوضح فيه طريق تعلم الصناعتين بالأمثلة المختارة وقد طبعناه مضبوطة أبياته الشعرية ومشروحة كلماته اللغوية

تذكرة موضوعات الحديث (أو معلول الحديث وبمن اعلّ) تأليف ابي الفضل محمد ابن طاهر المقدسي المحدث المتوفى سنة ٥٠٧ يذكر الحديث المعلول وبمن أعل مرتباً على حروف الهجاء

كتاب تعديل أركان الصلاة للامام أحمد بن حنبل مع كتاب احكام تارك الصلاة لشيخ الاسلام ابن قيم الجوزيه بين في الاول كيفية صلاة النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه والتابعين لهم وبين في الثانى رخص المتجوزين فى أمر الصلاة والرد عليهم ونقول مذاهب ائمة الاسلام فى حكم تارك الصلاة

مراتب المدلسين فى الحديث (أو طبقات المدلسين) للحافظ ابن حجر العسقلانى صاحب فتح الباري مع كتاب عمدة أهل الرسوخ فى الفقه والتحديث بمقدار الناسخ والمنسوخ من الحديث لابي الفرج ابن الجوزى المحدث الكبير

تمييز الطيب من الخبيث فيما يدور على السنة الناس من الحديث تأليف العلامة ابن الديبع اليمني تلميذ الشيخ السخاوى المحدث الكبير اختصر فيه كتاب المقاصد الحسنة فيما يدور من الاحاديث على الالسنة لشيخه السخاوي وتعقبه باحاديث أخر تدور على ألسنة الناس فى مجالسهم ومناظراتهم وبين الصحيح منها وغير الصحيح والموضوع والمعلول بيانا كافيا

كتاب الامالى الصغرى (في الادب) لابى اسحاق الزجاج احد أئمة الادب واللغة في القرن الثالث وممن يحتج بنقلهم يتنقل فيه المطالع من نادرة الى نادرة ومن مناظرة الي مناظرة واعتناء بشأن الكتاب المذكور كتب عليه شرحا يحل بعض مسائله العويصة العلامة الاديب الراوية الشيخ احمد بن الامين الشنقيطى نزيل القاهرة حالا

﴿ ترجمة المؤلف ﴾

هو أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكنانى الليثى المعروف بالجاحظ البصري العالم المشهور صاحب التصانيف فى كل فن له مقالة فى أصول الدين واليه تنسب الفرقة المعروفة بالجاحظية من المعتزلة وكان تلميذ أبى اسحاق ابراهيم بن سيار الباخي المعروف بالنظام المتكلم المشهور وهو خال يموت بن المزرع ومن أحسن تصانيفه وأمتعها هذا الكتاب فلقد جمع فيه كل غريبة وكذلك كتاب البيان والتبيين وهي كثيرة جداً وكان مع فضائله مشوه الخلق وانما قيل له الجاحظ لأن عينيه كانتا جاحظتين والجحوظ النتوء وكان يقال له أيضاً الحدقي لذلك ومن جملة أخباره أنه قال ذكرت للمتوكل لتأديب بعض ولده فلما رآني استبشع منظرى فأمر لي بعشرة آلاف درهم وصرفنى فخرجت من عنده فلقيت محمد بن ابراهيم وهو يريد الانصراف الى مدينة السلام فعرض علىَّ الخروج معه والانحدار فى حراقته وكنا بسر من رأى فركبنا في الحراقة فلما انتهينا الى فم نهر القاطول نصب ستارة وأمر بالغناء فاندفعت عوادة فغنت

كل يوم قطيعة وعتاب ... ينقضي دهرنا ونحن غضاب
ليت شعري أنا خصصت بهذا ... دون ذا الخلق أم كذا الأحباب

وسكتت فأمر الطنبورية فغنت

وارحمتا للعاشقين ما إن أرى لهم معينا
كم يهجرون ويصرمو ن ويقطعون فيصبرونا

قال فقالت لها العوادة فيصنعون ماذا قالت هكذا يصنعون وضربت بيدها الى الستارة فهتكتها وبرزت كأنها فلقة قمر فألقت نفسها فى الماء وعلى رأس محمد غلام يضاهيها فى الجمال وبيده مذبة فأتى الموضع ونظر اليها وهي تمر بين الماء وأنشد

أنت التى غرقتنى بعد القضا لو تعلمينا

وألقى نفسه فى أثرها فادار الملاح الحراقة فاذا بهما معتنقان ثم غاصا فلم يريا فاستعظم محمد

ذلك وهاله أمرهما ثم قال ياعمرو لتحدثني حديثاً يسليني عن فعل هذين والا ألحقتك بهما قال فحضرني حديث يزيد بن عبدالملك وقدقعد للمظالم يوما وعرضت عليه القصص فمرت به قصة فيها ان رأى أمير المؤمنين أن يخرج اليَّ جاريتـه فلانة حتى تغنيني ثلاثة أصوات فعل فاغتاظ يزيد من ذلك وأمر من يخرج اليه ويأتيه برأسه ثم اتبع الرسول رسولا آخر يأمره أن يدخل اليه الرجل فأدخله فلما وقف بين يديه قال له ماالذى حملك على ماصنعت قال الثقة بحلمك والاتكال على عفوك فأمره بالجلوس حتى لم يبق أحد من بني أمية الا خرج ثم أمر فأخرجت الجارية ومعها عودها فقال لها الفتى غنى

أفاطم مهلا بعض هـذا التدلل وان كنت قدأزمعت صرمي فاجملي

فغنته فقال له يزيد قل فقال غني

تألق البرق نجدياً فقلت له ياأيها البرق إنى عنك مشغول

فغنته فقال له يزيد قل فقال يامولاي تأمر لي برطل شراب فأمر له به فااستتم شربه حتى وثب وصعد على أعلى قبة ليزيد فرمى نفسـه على دماغه فمات فقال يزيد (انا لله وانا اليه راجعون) أتراه الأحمق الجاهل ظن أنى أخرج اليه جاريتي وأردها الى ملكى ياغلمان خذوها بيدها واحملوها الى أهله ان كان له أهل والافبيعوها وتصدقوا عنه بثمنها فانطلقوا بها الى أهله فلما توسطت الدار نظرت الى حفيرة فى وسط دار يزيد قد أعدت للمطر فجذبت نفسها من أيديهم وأنشدت

من مات عشقاً فليمت هكذا لاخير فى عشق بلا موت

فألقت نفسها في الحفيرة على دماغها فماتت فسري عن محمد وأجزل صلتي ٠٠ وقال أبو القاسم السـيرافى حضرنا مجلس الاستاذ أبى الفضـل بن العميد الوزير فجرى ذكر الجاحظ فغض منه بعض الحاضرين وأزرى به وسكت الوزير عنه فلما خرج الرجل قلت له سكت أيها الاستاذ عن هذا الرجل فى قوله مع عادتك في الرد على أمثاله فقال لم أجـد في مقابلته أبلغ من تركه على جهله ولو واقفته وبينت له لنظر فى كتبه وصار بذلك انسانا ياأبا القاسم فكتب الجاحظ تعلم العقل أولا والأدب ثانياً ولم أستصلحه لذلك وكان الجاحظ في آواخر عمـره قد أصابه الفالج فكان يطلي نصـفه الأيمن

بالصندل والكافور لشدة حرارته والنصف الأيسر لو قرض بالمقارض لما أحس به من خدره وشدة برده وكان يقول فى مرضه اصطلحت على جسدى الاضداد ان أكلت بارداً أخذ برجلى وان أكلت حاراً أخذ برأسي وكان يقول أنا من جانبي الأيسر مفلوج فلو قرض بالمقاريض ماعلمت به ومن جانبي الأيمن منقرس فلو مر به الذباب لالمت وبى حصاة لاينسرح لي البول معها وأشد ماعلي ست وتسعون سنة وكان ينشد

أترجو أن تكون وأنت شيخ كما قد كنت أيام الشباب

لقد كذبتك نفسك ليس ثوب دريس كالجديد من الثياب

وحكى بعض البرامكة قال كنت تقلدت السند فأقمت بها ماشاء الله تعالى ثم اتصل بي أني صرفت عنها وكنت كسبت بها ثلاثين ألف دينار فخشيت أن يفجأني بها الصارف فيسمع بمكان المال فيطمع فيه فصفته عشرة آلاف اهليلجة في كل اهليلجة ثلاثة مثاقيل ولم يمكث الصارف ان أتى فركبت البحر وانحدرت الى البصرة فخبرت أن الجاحظ بها وأنه عليل بالفالج فأحببت أن أراه قبل وفاته فصرت اليه فأفضيت الى باب دار لطيف فقرعته فخرجت الي خادم صفراء فقالت من أنت قلت رجل غريب وأحب أن أسر بالنظر الى الشيخ فبلغته الخادم ماقلت فسمعته يقول قولي له وما تصنع بشق مائل ولعاب سائل ولون حائل فقلت للجارية لابد من الوصول اليه فلما بلغته قال هذا رجل قد اجتاز بالبصرة وسمع بعلتي فقال أحب أن أراه قبل موته فأقول قد رأيت الجاحظ ثم أذن لي فدخلت وسلمت عليه فرد رداً جميلا وقال من تكون أعزك الله فانتسبت له فقال رحم الله تعالى أسلافك وآباءك السمحاء الأجواد فلقد كانت أيامهم رياض الأزمنة ولقد انجبر بهم خلق كثير فسقيا لهم ورعيا فدعوت له وقلت أنا أسألك أن تنشدني شيئاً من شعرك فأنشدني

لئن قُدِّمَتْ قبلي رجال فطالما مشيت على رسلي فكنت المقدما

ولكنّ هذا الدهر تأتي صروفه فتبرم منقوضاً وتنقض مبرما

ثم نهضت فلما قاربت الدهليز قال يافتى أرأيت مفلوجا ينفعه الاهليلج قلت لا قال فان الاهليلج الذي معك ينفعني فابعث لي منه فقلت نعم وخرجت متعجباً من وقوعه على

خبرى مع كتماني له وبعثت له مائة اهليلجة وقال أبو الحسن البرمكى أنشدنى الجاحظ

وكان لنا أصدقاء مضوا تفانوا جميعاً وما خلدوا
تساقوا جميعاً كؤس المنون فمات الصديق ومات العدو

وكانت وفاة الجاحظ فى شهر المحرم سنة خمس وخمسين ومائتين بالبصرة وقد نيف على تسعين سنة رحمه الله تعالى انتهى مختصراً من فوات الوفيات

كتبه
محمد أمين الخانجي
الكتبي

obeikandl.com